منهاج المتعلم

لحجة الإسلام

أبي حامد محمد محمد ابن محمد ابن محمد الغزالي

(المتوفى سنة ٥٠٥ هـ)

طبع على نفقة

دار النجاح

بالمعهد الإسلامي النجاح دينيار جومبانج

مُقَدِّمَةُ المُؤَلِّفِ

الحَمْدُ لِلّٰهِ مُوجِدِ العِلْمِ لِلْمُجِدِّيْنَ ، وَمُوَرِّثِ المَعْرِفَةِ لِلطَّالِبِيْنَ ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى مُحَمَّدٍ أَعْلَمِ المُعَلِّمِيْنَ ، وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ أَكْرَمِ المُتَعَلِّمِيْنَ. وَبَعْدُ

فَإِنِّيْ أُرِيْدُ - بِحَوْلِ اللهِ تَعَالَى وَقُوَّتِهِ - أَنْ أَجْمَعَ مَسَائِلَ مِمَّا يَتَعَلَّقُ بِالعِلْمِ وَالمُعَلِّمِ وَالمُتَعَلِّمِ - وَإِنْ تَكَلَّمُوا فِيْهَا كَثِيْرًا - إِلَّا أَنَّنِيْ أَجْمَعُ مَا فِيْهَا مِنَ المُهِمَّاتِ ، وَمَا يُوْرِثُ الجُرْأَةَ عَلَى إِقْدَامِ العِلْمِ ، وَأَرْجُوْ مِنْهُ تَعَالَى أَنْ يُعْطِيَنِيْ الإِقْدَامَ وَالجِدَّ عَلَى العِلْمِ وَالعَمَلِ بِهِ ، وَسَمَّيْتُهَا بِـ«مِنْهَاجِ المُتَعَلِّمِ» وَاللهُ الهَادِيْ إِلَى سَبِيْلِ الصَّوَابِ.

وَرَتَّبْتُهُ عَلَى ثَلَاثَةِ أَبْوَابٍ.

البَابُ ٱلأَوَّلُ فِي العِلْمِ

فَضْلِهِ وَمَكَانَتِهِ وَآدَابِهِ

قَالَ ٱللَّهُ تَعَالَى : ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾ [المجادلة:١١] وَقَالَ ٱللَّهُ تَعَالَى : ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمَۢا بِٱلْقِسْطِ﴾ [آل عمران :١] بَدَأَ ٱللهُ فِي الشَّهَادَةِ بِنَفْسِهِ ، وَثَنَّى بِالمَلَائِكَةِ ، وَثَلَّثَ بِأُوْلِي العِلْمِ. وَقَالَ ٱللهُ تَعَالَى : ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر:٩] وَقَالَ ٱللهُ تَعَالَى : ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾ [فاطر: ٢٨] وَقَالَ ٱللهُ تَعَالَى : ﴿قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَٰبِ﴾ [الرعد: ٤] ،إِلَى غَيْرِ ذٰلِكَ مِنَ الآيَاتِ.

طَلَبُ الْعِلْمِ فَرِيْضَةٌ

قَالَ رَسُوْلُ اللهِ ﷺ : (طَلَبُ العِلْمِ فَرِيْضَةٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ وَمُسْلِمَةٍ) وَقَالَ عَلَيْهِ أَكْمَلُ الصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ : (أُطْلُبُ العِلْمَ ، وَلَوْ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ بَحْرٌ مِنَ النَّارِ) وَقَالَ عَلَيْهِ أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ : (أُطْلُبْ الْعِلْمَ وَلَوْ بِالصِّيْنِ) وَقَالَ عَلَيْهِ أَشْرَفُ الصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ (أُطْلُبْ العِلْمَ مِنَ المَهْدِ إِلَى اللَّحْدِ).

وَفِي الخُلَاصَةِ : كُلُّ عِبَادَةٍ كَالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَالصَّوْمِ فُرِضَتْ فِي وَقْتٍ دُوْنَ وَقْتٍ ، وَتَعَلُّمُ العِلْمِ فَرْضٌ فِي جَمِيْعِ الحَالَاتِ ، وَأَوْحَى اللهُ تَعَالَى لِدَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : (يَا دَاوُدُ اتَّخِذْ نَعْلَيْكَ مِنْ حَدِيْدٍ ، وَعَصَاكَ مِنْ حَدِيْدٍ ، وَاطْلُبْ الْعِلْمَ حَتَّى يَنْقَطِعَ نَعْلَاكَ ، وَيَنْكَسِرَ عَصَاكَ).

وَقِيْلَ : إِنَّ عِلْمَ مَا يَتَعَلَّقُ بِنَفْسِكَ فِيْ جَمِيْعِ الأَحْوَالِ بِمَنْزِلَةِ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ ، لَا بُدَّ لِكُلِّ أَحَدٍ مِنْ ذٰلِكَ ، فَإِنَّ حَيَاةَ القَلْبِ بِهِ

كَمَا أَنَّ حَيَاةَ الْبَدَنِ بِهِمَا، كَمَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: (مَنْ كَانَ حَيًّا بِالْعِلْمِ لَمْ يَمُتْ أَبَدًا). ثُمَّ اعْلَمْ: أَنَّ كُلَّ عِلْمٍ يُتَوَصَّلُ بِهِ إِلَى فَرْضِ عَيْنٍ فَتَحْصِيلُهُ فَرْضُ عَيْنٍ، فَإِنَّ الْعِلْمَ الْمُتَعَلِّقَ بِمَعْرِفَةِ اللهِ تَعَالَى، وَبِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَالصَّوْمِ وَالْحَجِّ، وَبِمَا يَتَعَلَّقُ بِالْحَلَالِ وَالْحَرَامِ وَغَيْرِ ذَلِكَ، فَرْضٌ لَا بُدَّ لِكُلِّ مُسْلِمٍ وَمُسْلِمَةٍ طَلَبُهُ، وَتَحْصِيلُهُ، وَإِقَامَتُهُ كَالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَغَيْرِهِمَا. وَيَسْأَلُ اللهُ تَعَالَى عَنْ كُلِّ مَسْأَلَةٍ مُتَعَلِّقَةٍ بِهَا، وَيُعَاقِبُ عَلَيْهَا، وَلَا يُعْفَى عَنْهُ بِتَوْبَةٍ وَاسْتِغْفَارٍ، وَلَا يُعْذَرُ، وَيُعَاقَبُ عَلَيْهِ كَمَا يُعَاقَبُ عَلَى تَرْكِ الصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَغَيْرِهِمَا، وَيُفَسَّقُ تَارِكُهَا كَمَا يُفَسَّقُ تَارِكُ الصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَغَيْرِهِمَا مِنْ سَائِرِ الْفُرُوضِ، وَيَسْقُطُ عَنِ الشَّهَادَةِ كَمَا يَسْقُطُ تَارِكُ الصَّلَاةِ عَنْهَا، وَعَلَى هَذَا عِلْمُ أَحْكَامِ فَرْضِ الْكِفَايَةِ، وَالسُّنَّةِ الْمُؤَكَّدَةِ، وَغَيْرِ الْمُؤَكَّدَةِ وَالْمَنْدُوبِ، وَالْمُسْتَحَبِّ، وَعُلِمَ أَيْضًا حُرْمَةُ تَعَلُّمِ مَا يُتَوَصَّلُ بِهِ إِلَى الْحَرَامِ، كَتَعَلُّمِ السِّحْرِ وَالنَّارَنْجَاتِ وَالنُّجُومِ الْمُحَرَّمَاتِ.

سُئِلَ النَّبِيُّ ﷺ : أَيُّ الأَعْمَالِ أَفْضَلُ؟ قَالَ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ : (العِلْمُ) ، فَقِيْلَ : أَيُّ الأَعْمَالِ تُرِيْدُ يَا رَسُوْلَ اللهِ؟ قَالَ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ : (العِلْمُ) ، فَقِيْلَ : تُسْأَلُ عَنِ العَمَلِ ، وَتُجِيْبُ عَنِ العِلْمِ يَا رَسُوْلَ اللهِ؟ فَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ : (إِنَّ العَمَلَ القَلِيْلَ مَعَ العِلْمِ يَنْفَعُ ، وَإِنَّ العَمَلَ الكَثِيْرَ مَعَ الجَهْلِ لاَ يَنْفَعُ).

وَاعْلَمْ : أَنَّ اللهَ تَعَالَى جَعَلَ العِلْمَ وَسِيْلَةً إِلَى كُلِّ فَضِيْلَةٍ ، وَأَنَّ العِلْمَ لَيَزْدَادُ بِهِ الشَّرِيْفُ شَرَفًا ، وَيَرْفَعُ العَبِيْدَ إِلَى مَجَالِسِ المُلُوْكِ.

العِلْمُ ثَلاَثَةٌ

قَالَ الحُكَمَاءُ : العِلْمُ ثَلاَثَةُ أَحْرُفٍ : عَيْنٌ ، وَلاَمٌ ، وَمِيْمٌ. فَاشْتِقَاقُ العَيْنِ مِنَ العِلِّيِّيْنَ ، وَاللاَّمِ مِنَ اللُّطْفِ ، وَالمِيْمِ مِنَ المُلْكِ ، فَالعَيْنُ يَجُرُّ صَاحِبَهُ إِلَى العِلِّيِّيْنَ ، وَاللاَّمُ تَجْعَلُهُ لَطِيْفًا فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ ، وَالمِيْمُ تَجْعَلُهُ مَلِكًا عَلَى الخَلْقِ ، وَيُعْطِيْهِ اللهُ تَعَالَى فِي العِلْمِ

بِبَرَكَةِ العَيْنِ العِزَّةَ، وَبِبَرَكَةِ اللَّامِ اللَّطَافَةَ، وَبِبَرَكَةِ المِيمِ المَحَبَّةَ وَالمُلَاءَمَةَ.

شَرَفُ العِلْمِ

ثُمَّ اعْلَمْ: أَنَّ شَرَفَ العِلْمِ لَا يُخْفَى عَلَى أَحَدٍ مِنْ ذَوِي العُقُولِ، مَعَ أَنَّهُ مُخْتَصٌّ بِالإِنْسَانِيَّةِ؛ لِأَنَّ جَمِيعَ الخِصَالِ سِوَى العِلْمِ يَشْتَرِكُ فِيهِ الإِنْسَانُ وَسَائِرُ الحَيَوَانَاتِ، كَالشَّجَاعَةِ، وَالقُوَّةِ، وَالشَّفَقَةِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ. وَمِنْ هَذَا قَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: (النَّاسُ عَالِمٌ، وَمُتَعَلِّمٌ، وَالبَاقِي هَمَجٌ) وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: (كُنْ عَالِمًا أَوْ مُتَعَلِّمًا وَلَا تَكُنْ ثَالِثًا) وَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: (كُنْ عَالِمًا، أَوْ مُتَعَلِّمًا، أَوْ مُسْتَمِعًا، أَوْ مُحِبًّا لِلْعُلَمَاءِ، وَلَا تَكُنِ الخَامِسَ فَتَهْلِكُ).

قِيلَ لِابْنِ المُبَارَكِ: مَنِ النَّاسُ؟ فَقَالَ: العُلَمَاءُ، فَقِيلَ: مَنِ المُلُوكُ؟ قَالَ: الزُّهَّادُ. وَبِالعِلْمِ أَظْهَرَ اللهُ تَعَالَى فَضْلَ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَى المَلَائِكَةِ، وَأَمَرَهُمْ بِالسُّجُودِ وَأَمَرَ اللهُ تَعَالَى النَّبِيَّ

عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بِزِيَادَةِ العِلْمِ ، وَلَمْ يَأْمُرْ بِزِيَادَةِ غَيْرِهِ ، كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَى : ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه:١١٤] وَقَالَ أَبُو إِسْحَاقَ الرَّازِيْ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى : إِنَّ اللهَ تَعَالَى أَنْعَمَ عَلَى نَبِيِّهِ ﷺ بِأَشْيَاءَ ، فَلَمْ يَمُنَّ عَلَيْهِ بِشَيْءٍ مِنْهَا إِلَّا العِلْمَ ، فَقَالَ اللهُ تَعَالَى : ﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾ [النساء :١١٣] وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنهُمَا : إِنَّ اللهَ تَعَالَى أَعْطَى سُلَيْمَانَ وَدَاوُدَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ العِلْمَ وَالمُلْكَ ، وَمَنَّ عَلَيْهِمَا بِالعِلْمِ لَا بِالمُلْكِ وَغَيْرِهِ ، حَيْثُ قَالَ اللهُ تَعَالَى ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُودَ وَسُلَيْمَٰنَ عِلْمًا﴾ [النمل:١٥] وَهَٰذَا دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ أَجَلَّ الأَشْيَاءِ هُوَ العِلْمُ ، وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنهُمَا : خُيِّرَ سُلَيْمَانُ صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِ بَيْنَ العِلْمِ وَالمُلْكِ ، فَاخْتَارَ العِلْمَ عَلَى المُلْكِ ، فَأَعْطَاهُ اللهُ العِلْمَ وَالمُلْكَ مَعَهُ.

فَضْلُ العُلَمَاءِ

قَالَ النَّبِيُّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ : (اثْنَانِ مِنْ دَرَجَةِ النُّبُوَّةِ، أَهْلُ العِلْمِ وَالجِهَادِ، أَمَّا أَهْلُ العِلْمِ فَدَلُّوا النَّاسَ عَلَى مَا جَاءَتْ بِهِ الرُّسُلُ، وَأَمَّا أَهْلُ الجِهَادِ فَجَاهَدُوْا بِأَسْيَافِهِمْ عَلَى مَا جَاءَتْ بِهِ الرُّسُلُ).

وَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ حِيْنَ ذُكِرَ عِنْدَهُ رَجُلَانِ، أَحَدُهُمَا عَابِدٌ وَالآخَرُ عَالِمٌ : (فَضْلُ العَالِمِ عَلَى العَابِدِ، كَفَضْلِي عَلَى أَدْنَى رَجُلٍ مِنْ أَصْحَابِي). وَفِيْ إِحْيَاءِ العُلُوْمِ، قِيْلَ : المُرَادُ بِهِ : العِلْمُ المُجَرَّدُ عَنِ العَمَلِ، لِأَنَّ العَابِدَ لَا تَجُوْزُ عِبَادَتُهُ بِدُوْنِ العِلْمِ. وَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ : (فَضْلُ العَالِـمِ عَلَى العَابِدِ، كَفَضْلِ القَمَرِ لَيْلَةَ البَدْرِ عَلَى سَائِرِ الكَوَاكِبِ) وَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ : (أَفْضَلُ النَّاسِ المُؤْمِنُ العَالِمُ الَّذِي إِذَا احْتِيجَ إِلَيْهِ نَفَعَ، فَإِنِ اسْتُغْنِيَ عَنْهُ أَغْنَى نَفْسَهُ) وَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ : (لَوْلَا العُلَمَاءُ مَا عُبِدَ

اللهُ فِي الأَرْضِ ، وَمَا رُزِقَ العِبَادُ ، وَمَا أَخْرَجَتِ الأَرْضُ نَبَاتَهَا ، وَلَا الأَشْجَارُ أَثْمَارَهَا ، وَلَا العُيُونُ أَمْوَاهَهَا ، وَلَا السَّمَاءُ أَمْطَارَهَا).

وَقَالَ الرَّبِيعُ : العُلَمَاءُ سِرَاجُ الأَزْمِنَةِ ؛ فَكُلُّ عَالِمٍ مِصْبَاحُ زَمَانِهِ يَسْتَضِيْءُ بِهِ أَهْلُ زَمَانِهِ. وَقَالَ بَعْضُهُمْ كُلُّ مَحَلَّةٍ فِيهَا عَالِمٌ ؛ فَهُمْ أَحْيَاءٌ ، وَكُلُّ مَحَلَّةٍ لَا يَكُوْنُ فِيهَا عَالِمٌ فَهُمْ أَمْوَاتٌ.

قَالَ يَحْيَى بْنُ مُعَاذٍ : العُلَمَاءُ أَرْأَفُ بِأُمَّةِ مُحَمَّدٍ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ مِنْ آبَائِهِمْ وَأُمَّهَاتِهِمْ : لِأَنَّ آبَاءَهُمْ وَأُمَّهَاتِهِمْ يَحْفَظُوْنَهُمْ مِنْ نَارِ الدُّنْيَا وَآفَاتِهَا ، وَالعُلَمَاءُ يَحْفَظُوْنَهُمْ مِنْ نَارِ الآخِرَةِ وَأَهْوَالِهَا.

دُعَاءُ المَخْلُوْقَاتِ لِطَالِبِ العِلْمِ

وَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ : (إِنَّ اللهَ تَعَالَى ، وَمَلَائِكَتَهُ ، وَأَهْلَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ ، حَتَّى النَّمْلَةَ فِي جُحْرِهَا ، لَيُصَلُّوْنَ عَلَى مُعَلِّمِ النَّاسِ الخَيْرَ).

فَضْلُ الْعَالِمِ

قَالَ النَّبِيُّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ : (وَلَفَقِيْهٌ وَاحِدٌ أَشَدُّ عَلَى الشَّيْطَانِ مِنْ أَلْفِ عَابِدٍ جَاهِلٍ). قَالَ الشَّيْخُ أَبُوْ جَعْفَرَ : سَمِعْتُ مِنَ الشَّيْخِ الإِمَامِ قَالَ : كَانَ فِي أَيَّامِ السُّلْطَانِ إِسْمَاعِيْلَ بْنِ سُلْطَانِ أَحْمَدَ فَقِيْهٌ يُقَالُ لَهُ : نَصْرُ بْنُ مُحَمَّدٍ ، فَاتَّفَقَ لَهُ شُغُلٌ عِنْدَ السُّلْطَانِ ، فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِ قَامَ لَهُ وَكَرَّمَهُ ، وَعَرَفَ حُرْمَتَهُ ، وَقَضَى حَاجَتَهُ ، فَرَجَعَ الْفَقِيْهُ ، فَقَالَ أَخُوْ السُّلْطَانِ : انْكَسَرَ نَامُوْسُكَ ، فَإِنَّ مَنْ سَمِعَ يَقُوْلُ : إِنَّ السُّلْطَانَ إِسْمَاعِيْلَ قَامَ لِرَجُلٍ مِنْ رَعِيَّتِهِ ، فَقَالَ السُّلْطَانُ قَدْ أَكْرَمْتُهُ لِأَجْلِ فَضْلِه ، وَعِلْمِهِ.

ثُمَّ رَأَى السُّلْطَانُ النَّبِيَّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فِي مَنَامِهِ ، فَقَالَ : يَا إِسْمَاعِيْلُ إِنَّكَ قَدْ عَرَفْتَ حُرْمَةَ العَالِمِ ، قَدْ حَكَمَ اللهُ أَنْ لَا يَأْخُذَ مِنْ أَوْلَادِكَ السَّلْطَنَةَ مِائَةَ سَنَةٍ ، وَأَخُوْكَ إِسْحَاقُ عَابَ عَلَيْكَ ، قَدْ حَكَمَ اللهُ تَعَالَى أَنْ لَا يَكُوْنَ مِنْ أَوْلَادِهِ صَاحِبُ رِكَابٍ قَطُّ.

حَتَّى إِنَّ السُّلْطَانَ مَحْمُوْدَ عَبَرَ جَيْحُوْنَ ، وَهَزَمَ أَهْلَ خَاقَانِ ، فَتَمَّ لَهُ مِائَةَ سَنَةٍ مِنْ ذَلِكَ الْوَقْتِ بِبَرَكَةِ أَنَّهُ عَرَفَ الْحُرْمَةَ وَالْفَضْلَ ، كَذَا فِي رَوْنَقِ الْمَجَالِسِ. وَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ : (الْعَالِمُ حَبِيْبُ اللهِ وَلَوْ كَانَ فَاسِقًا ، وَالْجَاهِلُ عَدُوُّ اللهِ وَلَوْ كَانَ عَابِدًا).

حُكِيَ : أَنَّ مِنَ النَّاسِ اخْتَلَفُوْا فِي شَرَفِ الْعَالِمِ الْفَاسِقِ ، وَشَرَفِ الْجَاهِلِ الْعَابِدِ ، فَخَرَجَ مِنْهُمْ وَاحِدٌ وَذَهَبَ مَعَهُمْ إِلَى صَوْمَعَةِ الْعَابِدِ الْجَاهِلِ ، فَخَاطَبَهُ بِأَنْ يَقُوْلَ : يَا عَبْدِيْ ؛ قَبِلْتُ دَعْوَتَكَ وَغَفَرْتُ لَكَ ذُنُوْبَكَ ، فَاتْرُكِ الْعِبَادَةَ وَاسْتَرِحْ ، فَقَالَ الْعَابِدُ الْجَاهِلُ : إِلٰهِيْ إِنِّيْ أَرْجُوْ مِنْكَ هٰذَا ، وَإِنِّيْ أَحْمَدُكَ ، وَأَشْكُرُكَ ، وَقَدْ عَبَدْتُكَ فِي زَمَانِ كَذَا وَكَذَا ، فَقَالَ الْقَائِلُ : فَقَدْ أَخْطَأْتَ ، وَكَفَرْتَ لِجَهْلِكَ.

ثُمَّ ذَهَبَ مَعَهُمْ إِلَى الْعَالِمِ الْفَاسِقِ ، فَقَالَ ذٰلِكَ الْقَائِلُ : يَا عَبْدِيْ إِتَّقِ مِنِّيْ وَأَنَا رَبُّكَ وَأَسْتُرُ ذَنْبَكَ ، وَأَنْتَ لَا تَسْتَحْيِ مِنِّيْ ، فَإِنِّيْ أُرِيْدُ أَنْ أُهْلِكَكَ ، فَقَامَ الْعَالِمُ الْفَاسِقُ ، وَسَلَّ سَيْفَهُ وَخَرَجَ مِنْ مَكَانِهِ

، فَقَالَ : يَا مَلْعُوْنُ ، أَنْتَ لَا تَعْلَمُ رَبَّكَ ؛ فَإِنِّي أُعَلِّمُكَ رَبَّكَ ، فَذَهَبَ ذٰلِكَ الْقَائِلُ مَعَهُمْ إِلَى مَكَانِهِمْ ، فَعَلِمُوْا شَرَفَ الْعِلْمِ ، وَأَهْلِهِ .اِنْتَهَى.

عِمَادُ الدِّيْنِ الْفِقْهُ

وَلِكُلِّ شَيْءٍ عِمَادٌ ؛ وَعِمَادُ الدِّيْنِ الْفِقْهُ وَنَفْعُ الْعَالِمِ لِنَفْسِهِ وَلِغَيْرِهِ ، وَنَفْعُ الْجَاهِلِ إِنْ نَفَعَ فَقَطْ لِنَفْسِهِ ، فَكَيْفَ يَنْفَعُ لِغَيْرِهِ؟ وَلَيْسَ عَلَى الشَّيْطَانِ شَيْءٌ أَشَدُّ مِنْ عَالِمٍ يَتَكَلَّمُ بِالْعِلْمِ وَيَسْكُتُ بِهِ ، هٰذَا مَنْقُوْلٌ عَنْ إِبْرَاهِيْمَ بْنِ أَدْهَمَ. ثُمَّ قَالَ : وَقَالَ إِبْلِيْسُ - لَعَنَهُ اللهُ تَعَالَى : لَسُكُوْتُهُ أَشَدُّ مِنْ كَلَامِهِ.

اَلْفَرْقُ بَيْنَ الْعَالِمِ وَالْعَابِدِ

وَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ : (بَيْنَ الْعَالِمِ وَالْعَابِدِ مِائَةُ دَرَجَةٍ ، بَيْنَ كُلِّ دَرَجَةٍ مَسِيْرَةَ سَبْعِيْنَ سَنَةً) فَاعْرِفُوْا لِلنَّاسِ حُقُوْقَهُمْ ، أَنْزِلُوْهُمُ الْمَجَالِسَ ، وَالْمَوَاقِفَ ، وَقَدِّمُوْهُمْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ ؛ فَإِنَّهُمْ مُقَدَّمُوْنَ عِنْدَ اللهِ تَعَالَى إِنَّهُمْ لَيْسُوْا كَمِثْلِكُمْ ، كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَى

﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر:٩]، فَكَيْفَ يَسْتَوِي؟ فَإِنَّ مَنْ عَمِلَ بِحَسَنَةٍ وَهُوَ غَيْرُ عَالِمٍ، فَالْوَاحِدُ بِعَشْرَةٍ، وَإِنْ كَانَ عَالِمًا ضُوعِفَ بِخَمْسِينَ إِلَى خَمْسِمِئَةِ أَلْفٍ. وَقَالَ النَّبِيُّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: يَبْعَثُ اللهُ الْعُلَمَاءَ، فَيَقُولُ لَهُمْ يَا مَعْشَرَ الْعُلَمَاءِ، إِنِّي لَمْ أَضَعْ عِلْمِي فِيكُمْ إِلَّا لِعِلْمِي بِكُمْ، وَلَمْ أَضَعْ عِلْمِي فِيكُمْ لِأُعَذِّبَكُمْ، فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ، كَذَا فِي الْمُنْتَخَبِ مِنْ إِحْيَاءِ الْعُلُومِ.

جَزَاءُ مَحَبَّةِ الْعُلَمَاءِ

قَالَ فِي "الْمِنْهَاجِ": قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: (إِنَّ اللهَ تَعَالَى يُحَاسِبُ عَبْدًا فَيَرْجَحُ سَيِّئَاتُهُ عَلَى حَسَنَاتِهِ، فَيَأْمُرُ بِهِ إِلَى النَّارِ، فَإِذَا ذَهَبُوا بِهِ إِلَى النَّارِ يَقُولُ اللهُ تَعَالَى لِجِبْرَائِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: أَدْرِكْ عَبْدِي، وَاسْأَلْهُ: هَلْ جَلَسَ مَعَ الْعُلَمَاءِ فِي بَيْتٍ وَاحِدٍ فِي دَارِ الدُّنْيَا فَأَغْفِرُ لَهُ؟ فَيَسْأَلُهُ، فَيَقُولُ: لَا، فَيَقُولُ اللهُ تَعَالَى لِجِبْرَائِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ:

اسْأَلْهُ : هَلْ أَحَبَّ عَالِمًا فِي الدُّنْيَا؟ فَيَسْأَلُهُ فَيَقُوْلُ : لَا ، وَقَالَ اللهُ تَعَالَى لِجِبْرَائِيْلَ : اسْأَلْهُ : هَلْ لَهُ صَدِيْقٌ يُحِبُّ الْعُلَمَاءَ؟ فَأَغْفِرُ لَهُ ، فَيَسْأَلُهُ ، فَيَقُوْلُ : بَلَى ، فُلَانٌ لِي صَدِيْقٌ وَهُوَ يَجْلِسُ مَعَ الْعُلَمَاءِ وَيُحِبُّهُمْ ، فَيَقُوْلُ اللهُ تَعَالَى غَفَرْتُ لَكَ لِذٰلِكَ. قِيْلَ:

الْجَاهِلُوْنَ أَمْوَاتٌ قَبْلَ مَوْتِهِمْ ✿ وَالْعَالِمُوْنَ وَإِنْ مَاتُوْا فَأَحْيَاءُ

وَقِيْلَ :

وَفِي الْجَهْلِ مَوْتٌ قَبْلَ مَوْتٍ لِأَهْلِهِ ✿ فَأَجْسَامُهُمْ قَبْلَ الْقُبُوْرِ قُبُوْرُ

وَإِنَّ امْرَأً لَمْ يَحْيَ بِالْعِلْمِ مَيِّتٌ ✿ لَيْسَ لَهُ حِيْنَ النُّشُوْرِ نُشُوْرُ

وَقِيْلَ:

فَذُو الْعِلْمِ عِزُّهُ مُتَضَاعِفٌ وَذُو الْـ ✿

جَهْلِ مَيِّتٌ بَعْدَ الْمَوْتِ تَحْتَ التُّرَابِ

فَإِنْ فَاتَكَ الدُّنْيَا وَطِيْبُ نَعِيْـمِهَا ✿

فَقَدْ اَخَذْتَ بِالْعِلْمِ خَيْرَ الْمَـذَاهِبِ

مُفَاضَلَةٌ بَيْنَ الْعَالِمِ وَالْعَابِدِ

وَحُكِيَ : أَنَّ رَسُوْلَ اللهِ ﷺ ، جَاءَ إِلَى الْمَسْجِدِ فَرَأَى الشَّيْطَانَ فِي بَابِ الْمَسْجِدِ ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُ ﷺ : (يَا لَعِيْنُ ، مَاذَا تَصْنَعُ هُنَا؟) ، فَقَالَ الشَّيْطَانُ : أُرِيْدُ أَنْ أَدْخُلَ الْمَسْجِدَ وَأُفْسِدُ صَلَاةَ هٰذَا الْمُصَلِّي ، وَلٰكِنْ كُنْتُ أَخَافُ مِنْ هٰذَا الرَّجُلِ النَّائِمِ. فَقَالَ النَّبِيُّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ : (يَا لَعِيْنُ ، وَلِمَ لَمْ تَخَفْ مِنَ الْمُصَلِّي وَهُوَ فِي الْعِبَادَاتِ وَالْمُنَاجَاةِ مَعَ رَبِّهِ ، وَالنَّائِمُ فِي الْغَفْلَةِ؟). فَقَالَ الشَّيْطَانُ الْمُصَلِّي جَاهِلٌ ، وَإِفْسَادُهُ سَهْلٌ ، وَالنَّائِمُ عَالِمٌ ، فَلَئِنْ أَغْوَيْتُ الْمُصَلِّيَ ، وَأَفْسَدْتُ صَلَاتَهُ ، أَخَافُ مِنْ إِيْقَاظِهِ ، وَإِصْلَاحِ

صَلَاتِهِ ، فَكُنْتُ خَجِيلًا. فَقَالَ النَّبِيُّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ : (نَوْمُ الْعَالِمِ خَيْرٌ مِنْ عِبَادَةِ الْجَاهِلِ). انْتَهَى.

تَزْيِينُ الْعِلْمِ بِالْحِلْمِ

وَلَا أَفْضَلَ مِنْ عِلْمٍ يَزِيْنُهُ حِلْمٌ ؛ أَيْ مِنْ عَالِمٍ حَلِيمٍ ، وَالْحِلْمُ تَرْكُ الاسْتِعْجَالِ فِي الْعُقُوْبَةِ.

رَفْعُ مَكَانَةِ الشَّخْصِ بِالْعِلْمِ

قَالَ مُصْعَبُ بْنُ الزُّبَيْرِ لِبَنِيْهِ : تَعَلَّمُوْا الْعِلْمَ ، فَإِنْ كَانَ لَكُمْ مَالٌ ؛ كَانَ الْعِلْمُ لَكُمْ جَمَالًا ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَكُمْ مَالٌ ؛ كَانَ الْعِلْمُ لَكُمْ مَالًا. قَالَ هِشَامُ بْنُ عُرْوَةَ : تَعَلَّمُوْا الْعِلْمَ ؛ فَإِنْ تَكُوْنُوْا صِغَارَ قَوْمِكُمْ ، تَصِيرُوْا كِبَارَهُمْ ، وَلَا تَحْسَبْ مَعَ نَفْسِكَ غِنًى مِنْ عِلْمٍ بِحَالٍ . وَمِمَّا حُكِيَ : أَنَّهُ قِيلَ لِعَبْدِ اللهِ بْنِ الْمُبَارَكِ : لَوْ أَنَّ اللهَ تَعَالَى أَوْحَى إِلَيْكَ أَنَّكَ تَمُوتُ الْعَشِيَّةَ فَمَاذَا تَصْنَعُ الْيَوْمَ؟ قَالَ : أَقُوْمُ وَأَطْلُبُ الْعِلْمَ ؛ لِأَنَّ اللهَ تَعَالَى أَعْطَى لِنَبِيِّنَا عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ

كُلِّ شَيْءٍ ، وَلَمْ يَأْمُرْهُ بِطَلَبِ الزِّيَادَةِ ، وَأَعْطَاهُ الْعِلْمَ وَأَمَرَهُ بِطَلَبِ الزِّيَادَةِ ، لِمَا مَرَّ.

فَضْلُ الْعِلْمِ عَلَى الْمَالِ

وَعَنِ السُّدِّي أَنَّهُ قَالَ : الْعِلْمُ أَفْضَلُ مِنْ كُنُوزِ الدُّنْيَا ، فَإِنَّهَا تَنْقَضِي مَعَ الإِنْفَاقِ ، وَالْعِلْمُ يَزْدَادُ بِالانْفَاقِ ، وَإِنَّ الْعِلْمَ يَحْفَظُ أَهْلَهُ مِنْ كُلِّ آفَةٍ ، وَالْمَالُ يُوقِعُهَا فِي الآفَاتِ ، وَإِنَّمَا مَثَلُ الْعِلْمِ كَمَثَلِ السِّرَاجِ عَلَى الطَّرِيْقِ ؛ يَقْتَبِسُ وَيَسْتَفِيْدُ مِنْ ضَوْئِهِ الذَّاهِبُ وَالْجَائِيْ ، وَلَا يَنْقُصُ أَصْلاً.

وَاعْلَمْ : أَنَّ النَّاسَ اخْتَلَفُوْا فِي الْعِلْمِ وَالْمَالِ ، قَالَ بَعْضُهُمْ : الْعِلْمُ أَفْضَلُ مِنَ الْمَالِ ، وَقَالَ الآخَرُ : الْمَالُ أَفْضَلُ مِنَ الْعِلْمِ ، فَتَنَازَعُوْا فِيْهِ ، حَتَّى بَعَثُوْا إِلَى عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا رَسُوْلاً لِيَسْأَلَهُ عَنْ ذَلِكَ ، فَذَهَبَ إِلَيْهِ وَسَأَلَهُ ، فَقَالَ : اعْلَمْ أَنَّ لِلْعِلْمِ شَرَفاً عَلَى الْمَالِ ، مِنْ سَبْعَةِ أَوْجُهٍ :

إِحْدَاهَا : أَنَّ العِلْمَ مِيْرَاثُ الأَنْبِيَاءِ ، وَالمَالُ مِيْرَاثُ الفَرَاعِنَةِ وَالأَشْقِيَاءِ.

وَالثَّانِيْ : العِلْمُ يَحْرُسُ صَاحِبَهُ ، وَصَاحِبُ المَالِ يَحْرُسُ مَالَهُ.

وَالثَّالِثُ : أَنَّ المَالَ يُعْطِيْهِ اللهُ تَعَالَى لِمَنْ يُحِبُّهُ وَلِمَنْ لَا يُحِبُّهُ ، وَلَا يُعْطِيْ العِلْمَ إِلَّا لِمَنْ يُحِبُّهُ.

وَالرَّابِعُ : لَا يَنْقُصُ العِلْمُ بِالبَذْلِ وَالإِنْفَاقِ ، بَلْ يَزِيْدُ بِهِمَا ، وَالمَالُ يَنْقُصُ بِهِمَا.

وَالخَامِسُ : أَنَّ صَاحِبَ العِلْمِ لَا يَمُوْتُ ، وَلَا يَنْقَطِعُ عَمَلُهُ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ وَمَعَهُ عَمَلُهُ أَبَدًا ، وَصَاحِبُ المَالِ يَمُوْتُ ، وَيَنْقَطِعُ عَمَلُهُ ، وَيَبْقَى مَالُهُ لِغَيْرِهِ.

وَالسَّادِسُ : أَنَّ صَاحِبَ العِلْمِ لَا يُعَذَّبُ فِي القَبْرِ وَلَا يَبْلَى ، وَأَنَّ صَاحِبَ المَالِ يُعَذَّبُ فِي القَبْرِ وَيَبْلَى.

وَالسَّابِعُ : أَنَّ صَاحِبَ المَالِ يُسْأَلُ يَوْمَ القِيَامَةِ عَنْ كُلِّ دِرْهَمٍ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ ، وَفِيمَا أَنْفَقَهُ ، وَيُحَاسَبُ عَلَيْهِ ، وَأَنَّ صَاحِبَ الْعِلْمِ لَهُ بِكُلِّ مَسْأَلَةٍ دَرَجَةٌ ، وَكُلِّ حَرْفٍ حَسَنَةٌ ، وَلِكُلِّ حَرْفٍ مِنْ حُرُوْفِ القُرْآنِ عَشْرُ حَسَنَاتٍ إِنْ قَرَأَ عَلَى غَيْرِ طُهْرٍ ، وَإِنْ قَرَأَ عَلَى طُهْرٍ : إِنْ كَانَ فِيْ غَيْرِ الصَّلَاةِ ، فَلِكُلِّ حَرْفٍ مِئَةُ حَسَنَةٍ وَإِنْ قَرَأَ فِيْ الصَّلَاةِ ، فَلِكُلِّ حَرْفٍ أَلْفُ حَسَنَةٍ ، كَذَا فِي مِنْهَاجِ الْمَذْكُوْرِيْنَ.

سَعَادَةُ أَهْلِ الْعِلْمِ فِيْ الدَّارَيْنِ

وَنِعْمَ الْقَوْلُ مَا قِيْلَ :

أَهْلُ الْعِلْمِ فِي الدَّارَيْنِ مَسْعُوْدُ ❁ وَالْخُلْدُ فِي الْجَنَّةِ الْفِرْدَوْسِ مَوْعُوْدُ

وَالْعِلْمُ عِزٌّ، وَأَهْلُ العِلْمِ مُحْتَرَمُ ❁ وَالْجَهْلُ ذُلٌّ، وَأَهْلُ الْجَهْلِ مَطْرُوْدُ

وَقِيْلَ :

حَيَاةُ الْقَلْبِ عِلْمٌ فَاغْتَنِمْهُ ❁ وَمَوْتُ الْقَلْبِ جَهْلٌ فَاجْتَنِبْهُ

وَخَيْرُ الزَّادِ التَّقْــوَى فَـزِدْهُ ۞ كَفَاكَ هَـذَا الْوَعْظُ فَاتَّـــعِظْهُ

وَقِيْلَ : لَا تَحْسَبَنْ الْجُهَّالَ أَحْيَاءَ ، بَلْ هُمْ أَمْوَاتٌ ، وَثَوْبُهُمْ كَفَنُهُمْ وَقَالَ رَسُوْلُ اللهِ ﷺ : (يَنْبَغِي عَلَى الْعَالِمِ أَنْ يَصُوْمَ إِذَا النَّاسُ مُفْطِرُوْنَ ، وَيَحْزَنَ إِذَا النَّاسُ يَفْرَحُوْنَ ، وَيَبْكِيَ إِذَا النَّاسُ ضَاحِكُوْنَ ، وَيَصْمُتَ إِذَا النَّاسُ يَتَكَلَّمُوْنَ ، وَيَتَوَحَّدَ إِذَا النَّاسُ يَخْلِطُوْنَ ، فَلَمْ يَرْضَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أَنْ يَكُوْنَ مَنْ عَلِمَ وَفَهِمَ كَمَنْ لَا يَعْلَمُ وَلَا يَفْهَمُ ، قَالَ رَسُوْلُ اللهِ ﷺ : (مَنْ ازْدَادَ عِلْمًا وَلَمْ يَزْدَدْ زُهْدًا لَمْ يَزْدَدْ مِنَ اللهِ إِلَّا بُعْدًا).

أَنْوَاعُ الْعِلْمِ

وَاعْلَمْ :أَنَّ تَحْصِيْلَ العِلْمِ عَلَى نَوْعَيْنِ :كَسْبِيٌّ وَسَمَاعِيٌّ وَالكَسْبِيُّ : هُوَ العِلْمُ الحَاصِلُ بِمُدَاوَمَةِ الدَّرْسِ وَالقِرَاءَةِ عِنْدَ الأُسْتَاذِ. وَالسَّمَاعِيُّ : هُوَ التَّعَلُّمُ عِنْدَ العُلَمَاءِ بِالسَّمَاعِ فِي أُمُوْرِ دِيْنِهِمْ وَدُنْيَاهُمْ. وَهَذَا لَا يَحْصُلُ إِلَّا بِمَحَبَّةِ العُلَمَاءِ ، وَالاخْتِلَاطِ مَعَهُمْ ،

وَالمُجَالَسَةِ لَهُمْ ، وَالاِسْتِفْسَارِ مِنْهُمْ. كَمَا قِيْلَ : كُنْ عَالِمًا ، أَوْ مُتَعَلِّمًا ، أَوْ مُحِبًّا لَهُمْ ، فَإِنَّ الْجَهْلَ لَا يَكُوْنُ صَاحِبُهُ مَعْذُوْرًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، وَالْمُتَّصِفُ بِهِ مَغْبُوْنٌ فِيْهِمَا ؛ لِأَنَّ شَرَفَهُمَا مَعَ العِلْمِ. كَمَا قِيْلَ : مَنْ أَرَادَ الدُّنْيَا فَلْيَتَّجِرْ ، وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ فَلْيَتَزَهَّدْ ، وَمَنْ أَرَادَ كِلَيْهِمَا فَلْيَتَعَلَّمْ ، فَإِنَّ مَنْ انْتَقَلَ مِنَ الدُّنْيَا يَبْقَى مَا جَمَعَهُ فِيْهَا سِوَى العِلْمِ ، فَإِنَّ العِلْمَ رَفِيْقُهُ فِي القَبْرِ وَأَنِيْسُهُ ، وَفِرَاشُهُ وَتَحْتَهُ وَجَنْبُهُ ، وَزَادُهُ.

خَيْرُ الزَّادِ العِلْمُ

وَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ : (مَنْ أَرَادَ مِنْكُمْ سَفَرًا مِنْ أَسْفَارِ الدُّنْيَا لَا يَمْشِيْ بِلَا زَادٍ). وَكَيْفَ يُرِيْدُوْنَ السَّفَرَ إِلَى الآخِرَةِ بِلَا زَادٍ؟ ، وَنِعْمَ الزَّادُ العِلْمُ ، وَلَا سِيَّمَا شَفِيْعُهُ ، وَبُرَاقُهُ ، وَظِلُّهُ فِيْ يَوْمِ القِيَامَةِ ، وَإِنَّ العِلْمَ كَانَ شَفِيْعًا لِمَلَكِ المَوْتِ ، وَجَوَابًا لِمُنْكَرٍ وَنَكِيْرٍ ، وَمُؤْنِسًا فِي القَبْرِ ، وَثِقَلًا فِي المِيْزَانِ ، وَقَائِدًا عَلَى الصِّرَاطِ ،

وَمِفْتَاحًا لِلْجَنَّةِ وَقَالَ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : إِنَّ العِلْمَ أَنِيسٌ فِي الوَحْدَةِ ، وَصَاحِبٌ فِي الخَلْوَةِ ، وَدَلِيلٌ عِنْدَ الحَيْرَةِ ، وَالوَزِيرُ عِنْدَ الأَخِلَّاءِ. التَّفَكُّرُ فِيهِ يَعْدِلُ بِالصِّيَامِ ، وَمُدَارَسَتُهُ تَعْدِلُ بِالقِيَامِ ، وَبِهِ يُعْبَدُ الرَّبُّ ، وَبِهِ يُوَحَّدُ الرَّبُّ ، وَبِهِ يُطَاعُ الرَّبُّ ، وَهُوَ إِمَامُ العَمَلِ ، وَالعَمَلُ تَابِعُهُ ، فَفِيهِ عِزُّ الدُّنْيَا ، وَسَعَادَةُ الآخِرَةِ.

وَقَالَ الزُّهْرِيُّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : تَتَشَعَّبُ فِي العِلْمِ عَشَرَةٌ : الشَّرَفُ إِنْ كَانَ دَنِيًّا ، وَالغِنَى إِنْ كَانَ فَقِيرًا ، وَالعِزَّةُ إِنْ كَانَ مَهِينًا ، وَالقُوَّةُ إِنْ كَانَ ضَعِيفًا ، وَالجُودُ إِنْ كَانَ بَخِيلًا ، وَالقُرْبُ إِنْ كَانَ قَصِيًّا ، وَالكَبِيرُ إِنْ كَانَ صَغِيرًا.

التَّحْذِيرُ مِنْ مُعَادَاةِ الْعُلَمَاءِ

وَإِنَّ العِلْمَ لِلْعُلَمَاءِ مِيرَاثُ الأَنْبِيَاءِ ، كَمَا قَالَ النَّبِيُّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَام : (العُلَمَاءُ وَرَثَةُ الأَنْبِيَاءِ). فَالعَاقِلُ مَنْ يَغْتَنِمُ بِغَنَائِمِ العِلْمِ وَعَظَّمَهُ وَعَظَّمَ أَهْلَهُ ، وَلَا يَنْظُرُ لَهُمْ بِنَظَرِ الإِهَانَةِ. فَإِنَّ العِلْمَ

عَزِيزٌ لَا يَقُومُ إِلَّا بِشَخْصٍ عَزِيزٍ. قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : (مَنْ أَهَانَ عَالِمًا أَهَانَ اللّٰهُ تَعَالَى يَوْمَ القِيَامَةِ). قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : (مَنْ أَذَلَّ عَالِمًا أَذَلَّهُ اللّٰهُ يَوْمَ القِيَامَةِ بَيْنَ الخَلَائِقِ). وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : (مَنْ احْتَقَرَ صَاحِبَ العِلْمِ فَقَدْ احْتَقَرَنِي ، وَمَنْ احْتَقَرَنِي فَقَدْ احْتَقَرَ اللّٰهَ تَعَالَى ، وَمَنْ احْتَقَرَ اللّٰهَ تَعَالَى فَلَهُ النَّارُ). وَقَالَ ﷺ : (مَنْ آذَى عَالِمًا فَقَدْ آذَانِي ، وَمَنْ آذَانِي فَقَدْ آذَى اللّٰهَ تَعَالَى ، وَمَنْ آذَى اللّٰهَ تَعَالَى فَلَهُ النَّارُ).

وَفِي الخَبَرِ : قَالَ اللّٰهُ تَعَالَى : (لَا تُحَقِّرُوا عَبْدًا لَهُ آتَيْتُهُ عِلْمًا ، فَإِنِّي لَمْ أُحَقِّرْهُ حِيْنَ عَلَّمْتُهُ) وَ (إِنَّ المَلَائِكَةَ لَتَضَعُ أَجْنِحَتَهَا حَتَّى تَمُرَّ عَلَيْهَا حَمَلَةُ العِلْمِ وَطُلَّابُهَا تَوَاضُعًا وَإِكْرَامًا لَهُمْ).

قَبْضُ العِلْمِ بِقَبْضِ العُلَمَاءِ

وَقَالَ النَّبِيُّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ : (مَنْ لَمْ يَحْزَنْ لِمَوْتِ العَالِمِ فَهُوَ مُنَافِقٌ ، فَإِنَّهُ لَا مُصِيبَةَ أَعْظَمَ مِنْ مَوْتِ العَالِمِ ، وَمَا مِنْ مُؤْمِنٍ يَحْزَنُ لِمَوْتِ العَالِمِ إِلَّا كَتَبَ اللّٰهُ تَعَالَى لَهُ ثَوَابَ أَلْفِ عَالِمٍ

وَأَلْفِ شَهِيْدٍ). وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : (لَمَوْتُ قَبِيْلَةٍ أَيْسَرُ مِنْ مَوْتِ الْعَالِمِ) ، وَقَالَ عُمَرُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : لَمَوْتُ أَلْفِ عَابِدٍ قَائِمٍ بِاللَّيْلِ ، صَائِمٍ بِالنَّهَارِ ، أَهْوَنُ مِنْ مَوْتِ عَالِمٍ وَاحِدٍ يَعْلَمُ مَا أَحَلَّهُ اللهُ مِمَّا حَرَّمَهُ ، وَإِنْ لَمْ يَزِدْ عَلَى الْفَرَائِضِ.

مَثَلُ الْعَامَّةِ مَعَ الْعُلَمَاءِ

قِيْلَ : مَثَلُ الْعَامَّةِ مَعَ الْعُلَمَاءِ كَمَثَلِ الْقَصَّارِ مَعَ الشَّمْسِ ، إِذَا غَضِبَ الْقَصَّارُ عَلَى الشَّمْسِ ، كَانَتْ الْمَضَرَّةُ عَلَى الْقَصَّارِ لَا الشَّمْسِ ، فَكَذَالِكَ إِذَا غَضِبَ الْعَامَّةُ عَلَى الْعَالِمِ تَكُوْنُ الْمَضَرَّةُ لِلْعَامَّةِ لَا لِلْعُلَمَاءِ ، فَإِنَّ لُحُوْمَ الْعُلَمَاءِ مَسْمُوْمَةٌ مَنْ شَمَّهَا مَرِضَ ، وَمَنْ ذَاقَهَا مَاتَ.

ثَوَابُ الْعِلْمِ وَفَضْلِهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ

وَقَالَ النَّبِيُّ عَلَيهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ : (إِذَا مَاتَ الْإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثَةٍ : مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ ، أَوْ

وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُوْ لَهُ) وَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ : (مَنْ سَلَكَ طَرِيْقًا يَلْتَمِسُ فِيْهِ عِلْمًا سَهَّلَ اللهُ لَهُ طَرِيْقًا إِلَى الجَنَّةِ) وَقَالَ ﷺ : (إِنَّ اللهَ تَعَالَى لَا يَقْبِضُ العِلْمَ انْتِزَاعًا يَنْتَزِعُهُ مِنَ العِبَادِ ، وَلَكِنْ يَقْبِضُ العِلْمَ بِقَبْضِ العُلَمَاءِ ، حَتَّى إِذَا لَمْ يُبْقِ عَالِمًا ، اتَّخَذَ النَّاسُ رُؤَسَاءَ جُهَّالًا ، فَسُئِلُوْا ، فَأَفْتَوْا بِغَيْرِ عِلْمٍ ، فَضَلُّوْا وَأَضَلُّوْا). وَعَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ ، قَالَ رَسُوْلُ اللهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ : (مَنْ سَلَكَ طَرِيْقًا يَطْلُبُ فِيْهِ عِلْمًا ، سَلَكَ اللهُ بِهِ طَرِيْقًا مِنْ طُرُقِ الجَنَّةِ ، وَإِنَّ العَالِمَ يَسْتَغْفِرُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ ، وَالحِيْتَانُ فِي جَوْفِ المَاءِ ، وَإِنَّ الأَنْبِيَاءَ لَمْ يُوَرِّثُوْا دِيْنَارًا وَلَا دِرْهَمًا ، إِنَّمَا وَرَّثُوْا العِلْمَ ، فَمَنْ أَخَذَهُ فَقَدْ أَخَذَ بِحَظٍّ وَافِرٍ). وَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ : (مَنْ خَرَجَ فِي طَلَبِ العِلْمِ فَهُوَ فِي سَبِيْلِ اللهِ حَتَى يَرْجِعَ). رَوَاهُ أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ : وَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ : (مَنْ طَلَبَ العِلْمَ كَانَ كَفَّارَةً لِمَا مَضَى). قَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ : (الأَدَبُ أَرْضٌ ، وَالعِلْمُ نَبَاتٌ ، فَإِنْ لَمْ يَكُنِ الأَرْضُ فَكَيْفَ يَكُوْنُ نَبَاتٌ؟ وَالأَدَبُ شَجَرَةٌ وَالعِلْمُ ثَمَرٌ ، لَوْ لَمْ

يَكُنْ شَجَرٌ فَكَيْفَ يَكُوْنُ ثَمَرٌ؟) . وَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ :(مَنْ مَاتَ فِي طَلَبِ العِلْمِ فَقَدْ مَاتَ شَهِيْدًا). وَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ : (مَنْ مَاتَ فِي طَلَبِ العِلْمِ قَبْلَ حُصُوْلِ المَقْصُوْدِ ، خَلَقَ اللهُ تَعَالَى مَلَكًا عَالِمًا يُعَلِّمُهُ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ).

وَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ :(مَنْ أَرَادَ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى عُتَقَاءِ اللهِ مِنَ النَّارِ ، فَلْيَنْظُرْ إِلَى المُتَعَلِّمِيْنَ). وَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ : (مُتَعَلِّمٌ كَسْلاَنُ أَفْضَلُ عِنْدَ اللهِ تَعَالَى مِنْ أَلْفِ عَابِدٍ). وَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ : (قِوَامُ العَالَمِ بِالعَالِمِ). وَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ : (مَنْ خَدَمَ عَالِمًا سَبْعَةَ أَيَّامٍ ، فَقَدْ خَدَمَ اللهَ تَعَالَى سَبْعَةَ آلاَفِ سَنَةٍ ، وَأَعْطَاهُ اللهُ تَعَالَى بِكُلِّ يَوْمٍ ثَوَابَ أَلْفِ شَهِيْدٍ). قَالَ أَبُوْ بَكْرٍ الصِّدِّيْقُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ إِنَّ إِبْلِيْسَ قَائِمٌ أَمَامَكَ ، وَالنَّفْسَ عَنْ يَمِيْنِكَ ، وَالهَوَى عَنْ يَسَارِكَ ، وَالدُّنْيَا خَلْفَكَ ، وَالأَعْضَاءَ عَنْ حَوَالَيْكَ ، وَالجَبَّارَ فَوْقَكَ ، فَإِبْلِيْسُ يَدْعُوْكَ إِلَى المَعْصِيَةِ ، وَالهَوَى

يَدْعُوْكَ إِلَى الشَّهَوَاتِ ، وَالدُّنْيَا تَدْعُوْكَ إِلَى اخْتِيَارِهَا عَلَى الْآخِرَةِ ، وَالْأَعْضَاءُ تَدْعُوْكَ إِلَى الْمَعْصِيَةِ ، وَالْجَبَّارُ يَدْعُوْكَ إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ ، وَلَا يُعْلَمُ مَكْرُ هَؤُلَاءِ ، وَلَا يُؤْمَنُ مِنْ شَرِّهَا ، وَلَا يُتَوَصَّلُ إِلَى الْمَغْفِرَةِ وَالْجَنَّةِ إِلَّا بِالْعِلْمِ. اللَّهُمَّ ارْزُقْنَا الْعِلْمَ الْمُنْجِيَ مِنْ وَسْوَسَةِ هَؤُلَاءِ ، وَالْوُصُوْلَ إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ ، إِنَّكَ أَنْتَ الْجَوَّادُ الْكَرِيْمُ. وَعَنْ يَحْيَى بْنِ مُعَاذٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : الْعِلْمُ دَلِيْلُ الْعَمَلِ ، وَالْفَهْمُ وِعَاءُ الْعِلْمِ ، وَالْعَقْلُ قَائِدُ الْخَيْرِ ، وَالْهَوَى مُرَكَّبُ الذُّنُوْبِ ، وَالْمَالُ رِدَاءُ الْمُتَكَبِّرِيْنَ ، وَالدُّنْيَا سُوْقُ الْآخِرَةِ. قَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى : لَوْلَا الْأَبْدَالُ لَخَسَفَتِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيْهَا ، وَلَوْلَا الصَّالِحُوْنَ لَهَلَكَ الطَّالِحُوْنَ ، وَلَوْلَا الْعُلَمَاءُ لَصَارَ النَّاسُ كُلُّهُمْ كَالْبَهَائِمِ. قَالَ عُمَرُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : لَا يَصْلُحُ الْعَقْلُ بِغَيْرِ وَرَعٍ ، وَلَا الْفَضْلُ بِغَيْرِ عِلْمٍ.

قَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ : (الْعَافِيَةُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ بِالْعِلْمِ وَالْعِبَادَةِ ، وَالرِّزْقِ مِنَ الْحَلَالِ ، وَالصَّبْرِ عَلَى الشِّدَّةِ ، وَالشُّكْرِ عَلَى النِّعْمَةِ). قَالَ النَّبِيُّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لِإِبْلِيْسَ عَلَيْهِ مَا يَسْتَحِقُّهُ:

(مَنْ أَعْدَاؤُكَ؟ ، قَالَ عَلَيْهِ اللَّعْنَةُ : أَنْتَ يَا مُحَمَّدُ ، وَالعَالِمُ العَامِلُ بِالْعِلْمِ ، وَحَامِلُ القُرْآنِ إِنْ عَمِلَ بِمَا فِيْهِ). قِيْلَ : (العِلْمُ يَنْفَعُ وَلَوْ مَعَ الكَلْبِ العَقُوْرِ. وَلِلْخَاصَّةِ المُشَابَهَةِ بِالعِلْمِ رُوْعِيَ الكَلْبُ المُعَلَّمُ لِلصَّيْدِ).

وَقَالَ أَبُوْ بَكْرٍ الرَّازِي : نُكْتَةٌ فِي شَرَفِ العِلْمِ وَأَهْلِهِ وَهِيَ أَنَّهُ لَيْسَ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ أَشْرَفُ مِنَ المُؤْمِنِ ، وَلَيْسَ مِنَ المَخْلُوْقَاتِ شَيْءٌ أَخَسُّ مِنَ الكَلْبِ بَعْدَ الخِنْزِيْرِ ، ثُمَّ إِنَّ اللهَ تَعَالَى أَبَاحَ صَيْدَ الكَلْبِ الَّذِي هُوَ أَخَسُّ المَخْلُوْقَاتِ لِهَذَا المُؤْمِنِ ؛ الَّذِي هُوَ أَشْرَفُ المَخْلُوْقَاتِ ، كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ الْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ﴾ [المائدة: ٤] الآية. فَلَمَّا كَانَ مِنْ فَضْلِ العِلْمِ فِي الكَلْبِ مَا يَرْفَعُ مِنْ قَدْرِهِ ، حَيْثُ يُبَاحُ صَيْدُهُ لِلْمُؤْمِنِ الشَّرِيْفِ ، فَكَيْفَ إِذَا وُجِدَ شَرَفُ العِلْمِ مِنْ هَذَا المُؤْمِنِ؟ فَلَا يَعْرِفُ أَحَدٌ مِقْدَارَهُ إِلَّا اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى. قَالَ ابْنُ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ

عَنْهُمَا: النَّاسُ كُلُّهُمْ مَرْضَى إِلَّا الْعُلَمَاءَ فَهُمْ أَطِبَّاءُ، وَمَنْ أَرَادَ الصِّحَّةَ فَلْيَقْرُبْ مِنْهُمْ، فَإِنَّ النَّظَرَ إِلَيْهِمْ عِبَادَةٌ، وَالْمَشْيُ مَعَهُمْ عِزٌّ، وَالْأَكْلُ مَعَهُمْ شِفَاءٌ، فَإِنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَشْقَى جَلِيْسُهُمْ أَبَدًا، فَمَنْ حَفِظَهُمْ حُفِظَ، وَمَنْ ضَيَّعَهُمْ قُصِمَ. قِيْلَ: مَثَلُ الْعَالِمِ كَمَثَلِ الْعَطَّارِ إِذَا أُعْطِيتَ بِالطِّيبِ فِيهَا، وَإِلَّا يَصِلُ إِلَيْكَ رَائِحَةٌ طَيِّبَةٌ، وَكَذَلِكَ الْعَالِمُ إِنْ أَفَادَ النَّاسَ مِنْ عِلْمِهِ فِيهَا، وَإِلَّا تَصِلُ إِلَيْهِمْ بَرَكَتُهُ. وَقِيْلَ: مَثَلُ الْعَالِمِ كَشَجَرَةٍ مُثْمِرَةٍ؛ كُلَّمَا حَرَّكْتَهَا انْتَفَعْتَ بِثِمَارِهَا، وَإِنْ لَمْ تُحَرِّكْهَا لَمْ يَسْقُطْ عَلَيْكَ مِنْهَا شَيْءٌ وَقِيْلَ: مَثَلُ الْعَالِمِ كَالنَّحْلَةِ؛ يَخْرُجُ مِنْ بَطْنِهَا شِفَاءٌ لِلنَّاسِ، وَهُوَ الْعَسَلُ، فَكَذَلِكَ الْعَالِمُ، يَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِ الْعُلَمَاءِ شِفَاءٌ لِلْعُصَاةِ.

لُزُومُ الْعَمَلِ بِالْعِلْمِ

وَقَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا : الْعَالِمُ طَبِيْبُ الدِّيْنِ ، وَالدِّرْهَمُ دَاؤُهُ ، فَإِذَا كَانَ الْعَالِمُ الطَّبِيْبُ يَجُرُّ الدَّاءَ إِلَى نَفْسِهِ فَكَيْفَ يُدَاوِيْ غَيْرَهُ؟. قِيْلَ فِيْهِ :

وَغَيْرُ تَقِيٍّ يَأْمُرُ النَّاسَ بِالتُّقَى ۞ طَبِيْبٌ يُدَاوِي النَّاسَ وَهُوَ مَرِيْضُ

قَالَتْ رَابِعَةُ الْعَدَوِيَّةُ لِلْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ رَحِمَهُ اللهُ هَذَا الْبَيْتَ ، فَأَجَابَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى لِرَابِعَةَ :

خُذِيْ بِعِلْمِيْ وَلَا تَنْظُرِيْ إِلَى عَمَلِيْ ۞
يَنْفَعْكِ عِلْمِيْ وَلَا يَضْرُرْكِ تَقْصِيْرِيْ

وَهَذَا الْقَدْرُ كَافٍ فِيْ فَضِيْلَةِ الْعِلْمِ وَالْعُلَمَاءِ فِيْ مِثْلِ هَذَا الْمُخْتَصَرِ ، وَاللهُ أَعْلَمُ بِالصَّوَابِ ، وَإِلَيْهِ الْمَرْجِعُ وَالْمَآبُ.

اَلْبَابُ الثَّانِيْ فِي الْمُعَلِّمِ

صِفَاتُ الْمُعَلِّمِ

اَلْمَهَارَةُ وَالْأَمَانَةُ

يَجِبُ أَنْ يَكُوْنَ الْمُعَلِّمُ مَاهِرًا فِيْ فَنِّ يُعَلِّمُهُ ، وَأَنْ يَكُوْنَ طَاهِرَ الْقَلْبِ وَاللِّسَانِ ، وَأَنْ يَكُوْنَ نَظِيْفًا عَنِ الْغِيْبَةِ ، وَعَدْلًا فِي الدِّيْنِ ، وَنَاصِحًا فِيْ جَمِيْعِ الْأُمُوْرِ ، وَمُلَائِمًا فِي الْعَيْشِ ، وَشَرِيْفًا فِي النَّسَبِ ، وَكَبِيْرًا فِي السِّنِّ ، وَأَلَّا يَكُوْنَ غَضُوْبًا ، وَأَلَّا يُخَالِطَ السُّلْطَانَ ، وَلَا يُلَابِسَ الدُّنْيَا بِشُغْلِهِ عَنْ أَمْرِ دِيْنِهِ. وَعَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : إِذَا كَانَ الْعَالِمُ رَاغِبًا فِي الدُّنْيَا كَانَتْ مُجَالَسَتُهُ زِيَادَةً لِلْجَاهِلِ جَهْلًا وَلِلْفَاجِرِ فُجُوْرًا .

وَقَالَ أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : قَالَ رَسُوْلُ اللهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ : (اَلْعُلَمَاءُ أُمَنَاءُ الرُّسُلِ ، مَا لَمْ يُخَالِطُوْا السُّلْطَانَ

وَلَمْ يَدْخُلُوْا فِي الدُّنْيَا ، فَإِذَا خَالَطُوْا السُّلْطَانَ ، وَدَخَلُوْا فِي الدُّنْيَا فَقَدْ خَانُوْا الرُّسُلَ ، فَاعْتَزِلُوْهُمْ وَاحْتَرِزُوْهُم). حُكِيَ عَنْ أَبِي جَعْفَرَ الهِنْدُوَانِيْ : يُحْكِي عَنْ مَعْرُوْفِ الكَرْخِيْ قَالَ : لَمَّا مَاتَ أَبُوْ يُوْسُفَ رَحْمَةُ اللهِ تَعَالَى عَلَيْهِ ، لَمْ تَكُنْ مِنْ نِيَّتِيْ أَنْ أَحْضُرَ بِجَنَازَتِهِ ؛ فَإِنَّهُ كَانَ يَدْخُلُ فِي أُمُوْرِ السُّلْطَانِ ، فَرَأَيْتُهُ قَبْلَ أَنْ يُدْفَنَ فِي الْمَنَامِ فَقُلْتُ لَهُ : مَا فَعَلَ اللهُ تَعَالَى بِكَ؟ قَالَ : غَفَرَ لِيْ رَبِّيْ ، قُلْتُ : بِمَاذَا؟ قَالَ : بِنُصْحِيْ لِلْمُسْلِمِيْنَ ، فَانْتَبَهْتُ مِنَ الْمَنَامِ ، فَشَهِدْتُ جَنَازَتَهُ.

وَاجِبَاتُ الْمُعَلِّمِ

الْمُرَاعَاةُ وَالْإِكْرَامُ

يَجِبُ أَوَّلًا عَلَى الْمُعَلِّمِ إِذَا جِيْءَ بِمُبْتَدِئٍ أَنْ يُرَاعِيَهُ وَيُكْرِمَهُ ، وَيُعَزِّزَهُ إِلَى يَوْمٍ كَانَ مُؤْنِسًا مَعَهُ ؛ لِأَنَّ الْمُبْتَدِئَ كَالطَّيْرِ الْوَحْشِيِّ ، لَا يَأْنَسُ إِلَّا بِالتَّلَطُّفِ ، فَإِنَّ العِلْمَ أَشَقُّ عَلَيْهِ وَأَمَرُّ ، فَيَجِبُ إِصْلَاحُهُ عَلَى مَا يَقْتَضِيْهِ طَبْعُهُ ، كَمَا قَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ : (الْعِلْمُ مُرٌّ ،

فَاجْعَلُوْهُ حُلْوًا بِالتَّلَطُّفِ وَالتَّعَطُّفِ)، وَلَا يَبْعَدَ حَتَّى لَا يَسْمَعَ كَلَامَهُ وَلَا يَعْمَلَ بِأَمْرِهِ.

تَأْدِيبُ الْمُتَعَلِّمِ

ثُمَّ يَبْتَدِئُ ثَانِيًا بِالتَّأْدِيبِ، ثُمَّ بِالتَّعْلِيمِ؛ فَإِنَّ التَّعْلِيمَ لَا يُمْكِنُ إِلَّا بَعْدَ التَّأْدِيبِ؛ لِأَنَّ مَنْ لَيْسَ لَهُ أَدَبٌ لَيْسَ لَهُ عِلْمٌ.

تَشْخِيصُ طَبِيعَةِ الْمُتَعَلِّمِ

وَيَجِبُ عَلَى الْمُعَلِّمِ أَنْ يُشَخِّصَ طَبِيعَةَ الْمُبْتَدِئِ مِنَ الذَّكَاوَةِ وَالْغَبَاوَةِ وَيُعَلِّمَهُ عَلَى مِقْدَارِ وُسْعَتِهِ، وَلَا يُكَلِّفُ الزِّيَادَةَ مِنْ مِقْدَارِهِ، فَإِذَا كُلِّفَ يَئِسَ عَنْ تَحْصِيلِ الْعِلْمِ، فَيَتَّبِعُ الْهَوَى وَيُشْكِلُ تَعْلِيمُهُ، وَلَا يُشْرِكُ الذَّكِيَّ مَعَ الْغَبِيِّ، فَهُوَ تَقْصِيرٌ فِي الذَّكِيِّ وَكَسْلَانٌ فِي الْغَبِيِّ، وَلَا يَغْضَبُ، بَلْ يُكَرِّرُ فِي مَحَلٍّ لَا يَفْهَمُهُ حَتَّى يَفْهَمَ.

لَا يُبْذَلُ الْعِلْمُ إِلَّا لِمَنْ يُعَظِّمُهُ

وَلَا يُعَلِّمُ مَنْ لَا يُعَظِّمُهُ وَلَا يُكَرِّمُهُ ؛ فَإِنَّ الْعِلْمَ لَا يَحْصُلُ إِلَّا بِالتَّعْظِيمِ وَالتَّكْرِيمِ ، وَمَنْ لَا يُبَالِي فِي مُتَعَلِّمٍ وَصْفُهُ عَلَى مَا ذُكِرَ ، وَلَمْ يَلْتَفِتْ حَتَّى يَمُرَّ عَلَيْهِ الزَّمَانُ ، فَقَدْ خَانَ فِي حَقِّهِ ؛ لِتَضْيِيعِ أَيَّامِهِ.

حُسْنُ الْعِبَارَةِ مَعَ الْمُتَعَلِّمِ

وَمِنَ الْوَاجِبِ عَلَى الْمُعَلِّمِ حُسْنُ الْعِبَارَةِ عِنْدَ التَّكَلُّمِ وَتَفْصِيلُ الْكَلَامِ وَإِيضَاحُهُ بَعْدَ ظُهُورِهِ ، يَعْنِي : يُعَبِّرُ بِمَا يَنْفَعُ الْمُبْتَدِئَ بِكَلَامٍ بَلِيغٍ فَصِيحِ الْكَلِمَاتِ ، وَتَفْصِيلِ لِمَا أَجْمَلَهُ فِي الْكَلَامِ ، وَإِيضَاحِهِ لَهُ عَلَى وَجْهٍ يُفْهَمُ مِنْهُ الْمُرَادُ بِسُهُولَةٍ ، فَإِنَّ الْمُعَلِّمَ إِنْ لَمْ يَتَّصِفْ بِهَذِهِ الْأَوْصَافِ الْحَمِيدَةِ لَا يَسْتَفِيدُ مِنْهُ الْمُتَعَلِّمُ ، وَإِنْ اسْتَفَادَ لَا يَنْفَعُهُ.

فَيَجِبُ عَلَى الْآبَاءِ : أَنْ يَجِدُوا مُعَلِّمًا مُتَّصِفًا بِهَذِهِ الْأَوْصَافِ وَتَوَكَّلَ عَلَى اللهِ ، ثُمَّ فَوِّضْ أَمْرَكَ إِلَيْهِ ، وَلَا يُفَارِقُهُ ؛ فَإِنَّ الْعِلْمَ لَا يَحْصُلُ إِلَّا

بِالثُّبُوْتِ ، وَالدَّوَامِ ، كَمَا قِيْلَ : مَنْ ثَبَتَ نَبَتَ ، قَالَ أَبُوْ حَنِيْفَةَ رَحِمَهُ اللهُ : ثَبَتُّ عِنْدَ حَمَّادٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فَنَبَتُّ. وَكَذَا نَبَتَ مُحَمَّدٌ وَأَبُوْ يُوْسُفَ وَزُفَرُ رَحِمَهُمُ اللهُ ، لِثُبُوْتِهِمْ عِنْدَ أَبِيْ حَنِيْفَةَ رَحِمَهُ اللهُ.

إِخْلَاصُ النِّيَّةِ فِي التَّعْلِيْمِ

وَيَجِبُ عَلَى الْمُعَلِّمِ أَنْ يَنْوِيَ بِتَعْلِيْمِهِ إِرْشَادَ عِبَادِ اللهِ تَعَالَى إِلَى الْحَقِّ ، فَإِنَّ اللهَ تَعَالَى لَوْ هَدَى رَجُلًا بِسَبَبِهِ ، فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ مِنْ جَمِيْعِ أَمْوَالِ الدُّنْيَا يَتَصَدَّقُ بِهَا فِي سَبِيْلِ اللهِ ، وَلَوْ أَصْلَحَ الْمُعَلِّمُ النَّاصِحُ عَبْدًا عَاصِيًا فَهُوَ أَحَبُّ إِلَى اللهِ مِنْ عِبَادَةِ الثَّقَلَيْنِ، يَعْنِيْ : الإِنْسَ وَالْجِنَّ. قَالَ النَّبِيُّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ حِيْنَ بَعَثَ مُعَاذًا إِلَى الْيَمَنِ : لِأَنْ يَهْدِيَ اللهُ بِكَ رَجُلًا وَاحِدًا خَيْرٌ لَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيْهَا.

الْعَمَلُ بَعْدَ الْعِلْمِ

وَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ : (خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْعِلْمَ وَعَلَّمَهُ النَّاسَ). وَرَوَى مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ رِوَايَةً مَرْفُوعَةً : تَعَلُّمُ الْعِلْمِ لِلَّهِ تَعَالَى حَسَنَةٌ ، وَطَلَبُهُ عِبَادَةٌ ، وَدِرَاسَتُهُ تَسْبِيحٌ ، وَالْبَحْثُ عَنْهُ جِهَادٌ ، وَتَعْلِيمُهُ لِمَنْ لَا يَعْلَمُ صَدَقَةٌ ، وَبَذْلُهُ لِأَهْلِهِ قُرْبَةٌ وَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ : (مَنْ عَلِمَ وَعَمِلَ وَعَلَّمَ ؛ فَذَلِكَ الَّذِي يُدْعَى فِي مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ عَظِيمًا).

عَلَامَةُ الْمُعَلِّمِ الصَّالِحِ

وَعَلَامَةُ الْمُعَلِّمِ النَّاصِحِ : قَطْعُ الطَّمَعِ عَنِ الْخَلْقِ اسْتِحْيَاءً مِنَ الْخَالِقِ ، وَتَقْرِيبُ الْفَقِيرِ إِلَى نَفْسِهِ فِي التَّعْلِيمِ ، وَالشَّفَقَةُ عَلَيْهِ ، وَالتَّوَاضُعُ لِلْمُتَعَلِّمِ ، بِحَيْثُ لَا يَظْهَرُ عَلَيْهِ الْكِبْرُ عَلَى مَا هُوَ الْمُعْتَادُ عِنْدَ أَبْنَاءِ زَمَانِنَا ، وَالرِّفْقُ عَلَيْهِ.

الْبَدْءُ بِالتَّعْلِيمِ مِنَ الْأَهَمِّ إِلَى الْمُهِمِّ

قَالَ الْإِمَامُ الْغَزَالِيُّ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى : مَنْ تَقَلَّدَ التَّعْلِيمَ ، فَقَدْ تَقَلَّدَ أَمْرًا عَظِيمًا ، فَعَلَيْهِ أَنْ يَحْفَظَ آدَابَهُ وَوَظَائِفَهُ ، وَيَبْدَأُ الْمُعَلِّمُ فِي تَعْلِيمِ الْمُتَعَلِّمِ بِأَقْرَبِ مَا يَفْتَقِرُ إِلَيْهِ الطَّالِبُ ، وَأَهَمِّ مَا يَنْفَعُهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، فَإِنَّ التَّعْلِيمَ كَتَعْمِيرِ الْبَيْتِ ؛ فَإِنَّ الْبَانِيَ عَمَرَ الْبَيْتَ مِنْ أَيِّ جَنْبٍ خَرِبَ ، وَكَذَلِكَ الْمُعَلِّمُ يُعَلِّمُ الْمُتَعَلِّمَ مِنْ أَيِّ فَنٍّ جَهِلَ.

ضَيَاعُ الْعِلْمِ

وَلَا يُعَلِّمُ الْعِلْمَ إِلَّا لِأَهْلِهِ ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : (لَا تَطْرَحُوا الدُّرَّ فِي أَفْوَاهِ الْكِلَابِ) ، وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : (لَا تُعَلِّقُوا الْجَوَاهِرَ فِي أَعْنَاقِ الْخَنَازِيرِ ، فَإِنَّ الْعِلْمَ خَيْرٌ مِنَ الْجَوَاهِرِ ، وَمَنْ كَرِهَهُ فَهُوَ شَرٌّ مِنَ الْخِنْزِيرِ .)

قَالَ عِكْرِمَةُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : إِنَّ لِهَذَا الْعِلْمِ ثَمَنًا ، قِيلَ لَهُ: وَمَا هُوَ ؟ قَالَ : أَنْ تَضَعَهُ فِيمَنْ يُحْسِنُ حَمْلَهُ ، وَلَا يُضَيِّعَهُ.

كِتْمَانُ الْعِلْمِ

وَلَا يَكْتُمُ الْعِلْمَ عَنْ أَهْلِهِ، فَإِنَّ وَضْعَ الْعِلْمِ فِي غَيْرِ أَهْلِهِ إِضَاعَةٌ لَهُ، وَمَنْعُهُ عَنْ أَهْلِهِ ظُلْمٌ وَجَوْرٌ، يُسْأَلُ عَنْ كُلٍّ مِنْهُمَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ. قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١٨٧]، وَهُوَ إِيجَابٌ لِلتَّعْلِيمِ.

وَقَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٤٦] وَهُوَ تَحْرِيمٌ لِلْكِتْمَانِ. وَقَالَ النَّبِيُّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: (مَنْ عَلِمَ عِلْمًا فَكَتَمَهُ، أُلْجِمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِلِجَامٍ مِنَ النَّارِ). وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: (يُعَاقَبُ الْعَالِمُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِسُكُوتِهِ عَنْ عِلْمِهِ، وَيُعَاتَبُ الْجَاهِلُ لِسُكُوتِهِ عَنْ جَهْلِهِ) وَلَا يَحِلُّ لِلْعَالِمِ أَنْ يَسْكُتَ عَنْ عِلْمٍ، وَلَا لِلْجَاهِلِ أَنْ يَسْكُتَ عَنْ جَهْلِهِ، وَقَدْ أَمَرَ اللهُ تَعَالَى ٱلْجَاهِلَ بِالسُّؤَالِ فِي قَوْلِهِ: ﴿فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا

تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٤٣] وَأَمَرَ ٱلْعَالِمَ بِحُسْنِ الرَّدِّ عَلَى الجَاهِلِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ﴾ [الضحى: ١٠].

مُرَاعَاةُ مَدَارِكِ الْمُتَعَلِّمِ

وَيَجِبُ عَلَى الْمُعَلِّمِ أَنْ يَتَكَلَّمَ فِي كُلِّ نَوْعٍ مِنَ الْمُتَعَلِّمِ، بِمَا يَبْلُغُ الْمُتَعَلِّمَ وَيُدْرِكُ ذِهْنَهُ، كَمَا قَالَ النَّبِيُّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: (كَلِّمُوْا النَّاسَ عَلَى قَدْرِ عُقُوْلِهِمْ، وَيُحَدِّثُ النَّاسَ بِمَا يَفْهَمُ الْقُلُوْبَ سَهْلًا بِلَا مَشَقَّةٍ).

وَلَا يُحَدِّثُ الْجَاهِلَ الْمَغْرُوْرَ الْغَافِلَ بِرُخْصَةٍ، فَيَأْمَنُ وَيَقُوْلُ: إِنَّ اللهَ كَرِيْمٌ، فَلَا يَسْعَى فِي الْعَمَلِ الصَّالِحِ، بَلْ لَا يُبَالِيْ فِي الْمَعَاصِيْ، وَأَنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ رَجَاءَ الْمَغْفِرَةِ بِغَيْرِ عَمَلٍ إِنَّمَا هُوَ كَمَثَلِ أَجِيْرٍ اسْتَأْجَرَهُ رَجُلٌ كَرِيْمٌ عَلَى إِصْلَاحِ إِنَائِهِ، وَشَرَطَ لَهُ الْأَجْرَ عَلَيْهِ، فَجَاءَ الْأَجِيْرُ وَكَسَرَ الْإِنَاءَ وَأَفْسَدَهُ، ثُمَّ جَلَسَ يَنْتَظِرُ الْأَجْرَ، وَيَزْعَمُ أَنَّ الْمُسْتَأْجِرَ كَرِيْمٌ، أَفَيَرَاهُ الْعُقَلَاءُ فِي إِنْتِظَارِهِ رَاجِيًا مَعْذُوْرًا، أَمْ

مَغْرُورًا مُتَمَنِّيًا، وَلَا يُشَدِّدُ عَلَيْهِ فَيَيْئَسُ؛ فَإِنَّ الأَمْنَ وَاليَأْسَ كُفْرٌ، فَلَا يُحَدِّثُ الجَاهِلَ بِالأَمْنِ وَاليَأْسِ؛ لِئَلَّا يُوقِعَهُ فِي الكُفْرِ، فَفِي حَدِيثِ عَلِيٍّ رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ: أَنَّ العَالِمَ النَّاصِحَ مَنْ لَمْ يُيْئِسْ مِنْ رَحْمَةِ اللهِ تَعَالَى، وَلَمْ يُؤَمِّنْهُمْ مِنْ مَكْرِ اللهِ. وَلَا يَذْهَبُ بِلَا مُبَالَاةٍ فِي وُجُوهِ الحَدِيثِ وَفِي تَوْجِيهَاتِهِ، وَفِي الحَدِيثِ: (إِنَّ تَدْقِيقَ الكَلَامِ مِنَ الشَّيْطَانِ). وَلَا يُكْثِرُ عَلَى المُسْتَمِعِ إِكْثَارًا يُورِثُهُ المَلَالَةَ، وَيُخْبِرُهُ مَا عِنْدَهُ مِنَ العِلْمِ عَلَى وَجْهِهِ، أَيْ: كَمَا سَمِعَهُ، لَا يَزِيدُهُ وَلَا يَنْقُصُهُ؛ فَإِنَّ خِيَانَةَ الرَّجُلِ فِي العِلْمِ أَشَدُّ مِنْ خِيَانَتِهِ فِي المَالِ، وَلَا يُحَدِّثُ بِكُلِّ مَا سَمِعَ؛ فَإِنَّ بَعْضَهُ قَدْ يَكُونُ كَذِبًا غَيْرَ مُطَابِقٍ لِلْوَاقِعِ، فَرُبَّمَا يَقَعُ بِسَبَبِهِ فِيمَا يَصِيرُ وَبَالًا، فَإِنْ قَالَ بِسَمَاعٍ وَلَمْ يَتَحَقَّقْ مِنْ صِحَّتِهِ، بَلْ يَتَكَلَّمُ عَلَى سَبِيلِ الشُّبْهَةِ وَالجُرْأَةِ، دَخَلَ النَّارَ بِغَيْرِ حِسَابٍ، يَعْنِي: هَذَا القَوْلُ يَكْفِي لِأَنْ يَكُونَ سَبَبًا لِدُخُولِ النَّارِ، وَلَا حَاجَةَ إِلَى أَنْ يُحَاسَبَ. وَلَا يُجِيبُ المُعَلِّمُ عَنْ سُؤَالِ المُتَعَلِّمِ طَالِبًا ذَلَّهُ، بَلْ بِالشَّفَقَةِ وَالمَرْحَمَةِ وَاللهُ أَعْلَمُ بِالصَّوَابِ.

الْبَابُ الثَّالِثُ فِي الْمُتَعَلِّمِ

مَا يَجِبُ عَلَى الْآبَاءِ

يَجِبُ عَلَى الْآبَاءِ تَأْدِيبُ الْأَبْنَاءِ وَتَرْبِيَتُهُمْ ، وَإِرْسَالُهُمْ إِلَى الْمُعَلِّمِ إِذَا بَلَغَ أَرْبَعَ سِنِيْنَ ، وَأَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ ، وَأَرْبَعَةَ أَيَّامٍ ، فَإِنَّ الْأَبَ إِذَا لَمْ يُؤَدِّبْ ابْنَهُ وَلَمْ يُحْسِنْ أَدَبَهُ ، وَلَمْ يُجْلِسْهُ بَيْنَ يَدَيِ الْمُعَلِّمِ ؛ ظَهَرَتْ آثَارُ الانْحِرَافِ فِي جَمِيْعِ أَعْضَائِهِ خُصُوْصًا فِي لِسَانِهِ ، وَذَهَبَ اسْتِعْدَادُهُ وَقَابِلِيَّتُهُ لِلْعِلْمِ ، وَحَدَثَ الْجَهْلُ وَالطُّغْيَانُ وَأَنْوَاعُ الْمَعَاصِي فِيْهِ ، فَيَحْصُلُ لِلْأَبِ حِصَّةٌ مِنْ سُوْءِ عَمَلِهِ ، فَيُعَاقَبُ عَلَيْهَا بِمِثْلِ مَا عُوْقِبَ ابْنُهُ ، كَمَا قَالَ النَّبِيُّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ : (كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْؤُوْلٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ).

فَإِنَّ الْخِلْقَةَ عَلَى الْإِسْلَامِ ، وَالْقَابِلِيَّةَ ، وَالْاِسْتِعْدَادَ لِلْعِلْمِ ، وَسَائِرَ السَّعَادَاتِ الدِّيْنِيَّةِ وَالدُّنْيَوِيَّةِ ، وَزَوَالَهَا عَنِ الْأَبْنَاءِ ؛ إِنَّمَا هُوَ بِسَبَبِهِ الْأَبَوَانِ ، كَمَا قَالَ النَّبِيُّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ : (كُلُّ مَوْلُوْدٍ

يُوْلَدُ عَلَى فِطْرَةِ الإِسْلَامِ ، إِلَّا أَنَّ أَبَوَيْهِ يُهَوِّدَانِهِ أَوْ يُنَصِّرَانِهِ ، أَوْ يُمَجِّسَانِهِ). الْحَدِيْثَ.

وَكَذٰلِكَ كُلُّ مَوْلُوْدٍ يُوْلَدُ عَلَى الْقَابِلِيَّةِ ، وَالإِسْتِعْدَادِ لِلْعِلْمِ ، إِلَّا أَنَّ أَبَوَيْهِ يُجَهِّلَانِهِ ، فَإِنَّ الإِبْنَ إِذَا اكْتَسَبَ الْأَدَبَ وَالْعِلْمَ وَالْمَعْرِفَةَ ، وَأَنْوَاعَ السَّعَادَاتِ الدُّنْيَوِيَّةِ وَالْأُخْرَوِيَّةِ ، حَصَلَ مِنْ هٰذِهِ الْأَوْصَافِ الْحَمِيْدَةِ ثَوَابٌ كَثِيْرٌ لَهُ وَلِأَبَوَيْهِ ، كَمَا قَالَ النَّبِيُّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ : (إِذَا مَاتَ ابْنُ آدَمَ انْقَطَعَ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثَةِ أَشْيَاءَ : مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُوْ لَهُ).

تَعْلِيْمُ الْوَلَدِ الْقُرْآنَ

قِيْلَ : إِنَّ رَجُلًا أَتَى إِلَى النَّبِيِّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فَقَالَ : يَا رَسُوْلَ اللهِ ، مَا أَجْرُ مَنْ عَلَّمَ وَلَدَهُ الْقُرْآنَ؟ فَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ :(الْقُرْآنُ كَلَامُ اللهِ تَعَالَى وَلَا غَايَةَ لَهُ، فَجَاءَ جِبْرَائِيْلُ فَقَالَ :يَا مُحَمَّدُ، إِنَّ اللهَ تَعَالَى يَقْرَأُ عَلَيْكَ السَّلَامَ وَيَقُوْلُ : مَنْ عَلَّمَ وَلَدَهُ

الْقُرْآنَ كَأَنَّمَا حَجَّ الْبَيْتَ عَشْرَةَ آلَافِ مَرَّةٍ ، وَأَعْتَقَ عَشْرَةَ آلَافِ رَقَبَةٍ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ ، وَأَطْعَمَ عَشْرَةَ آلَافِ مِسْكِينٍ مُسْلِمٍ جَائِعٍ ، وَكَأَنَّمَا كَسَا عَشْرَةَ آلَافِ عُرْيَانٍ مُسْلِمٍ ، وَيُكْتَبُ لَهُ بِكُلِّ حَرْفٍ عَشْرُ حَسَنَاتٍ ، وَيُمْحَى عَنْهُ عَشْرُ سَيِّئَاتٍ ، وَيَكُونُ مَعَهُ فِي الْقَبْرِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ، وَيَكُونُ حُجَّتَهُ بَيْنَ يَدَيِ اللهِ تَعَالَى ، وَلَمْ يُفَارِقْهُ حَتَّى يَدْخُلَ الْجَنَّةَ).

تَعْلِيمُ الْوَلَدِ الْكَلَامَ الطَّيِّبَ

وَيَجِبُ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ أَنْ يُجْرِيَ لِسَانَ ابْنِهِ عَلَى كَلَامٍ طَيِّبٍ ، وَأَلْفَاظٍ مَلِيحَةٍ ، وَيُحْرِزَهُ عَنْ كَلِمَاتِ الْفُحْشِ وَالْمُهْمَلَاتِ إِذَا ابْتَدَأَ التَّكَلُّمَ ، كَمَا قَالَ النَّبِيُّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ : (أَكْرِمُوا أَوْلَادَكُمْ ، وَأَحْسِنُوا آدَابَهُمْ).

بَعْضُ الْآدَابِ الَّتِي لَابُدَّ مِنْهَا

وَمِنْ تَأْدِيْبِهِ : الْإِنْحِنَاءُ لِلْعَاطِسِ وَالشَّارِبِ ، وَمُطَارَقَةُ النَّعْلَيْنِ، وَقُبَلُ الْيَدِ عِنْدَ خُرُوْجِ الْحَمَّامِ ، وَالْجُلُوْسُ عَلَى رُكْبَتَيْهِ ، وَالْقِيَامُ عِنْدَ مَجِيْءِ الْكَبِيْرِ وَفَتْحِ الْبَابِ عِنْدَ ذَهَابِهِ وَغَيْرُ ذٰلِكَ ، وَهٰذِهِ التَّرْبِيَةُ وَاجِبَةٌ عَلَى الْأَبِ لَا عَلَى الْأُسْتَاذِ ، فَإِنَّ الْإِبْنَ عَلَى مَا رَآهُ فِي حَالِ الصِّبَا مِنَ الْأَقْوَالِ وَالْأَفْعَالِ ، كَمَا قِيْلَ: الْعِلْمُ فِي الصِّغَرِ ، كَالنَّقْشِ فِي الْحَجَرِ.

وَاجِبَاتُ الْمُتَعَلِّمِ

طَاعَةُ الْمُعَلِّمِ

يَجِبُ عَلَى الْمُتَعَلِّمِ : اِمْتِثَالُ أَوَامِرِ أُسْتَاذِهِ ، إِلَّا أَنْ يَأْمُرَهُ بِالْمَنَاهِي ، فَإِنَّهُ يُخَالِفُهُ ، وَيَجِبُ عَلَى الْمُتَعَلِّمِ : تَعْظِيْمُ الْعِلْمِ وَأَهْلِهِ وَأُسْتَاذِهِ. اعْلَمْ بِأَنَّ الْمُتَعَلِّمَ لَا يَنَالُ الْعِلْمَ وَلَا يَنْتَفِعُ بِهِ إِلَّا بِتَعْظِيْمِ

العِلْمِ وَأَهْلِهِ، وَبِتَعْظِيمِ أُسْتَاذِهِ. قِيلَ: مَا وَصَلَ مَنْ وَصَلَ إِلَّا بِالحُرْمَةِ، وَمَا سَقَطَ مَنْ سَقَطَ إِلَّا بِتَرْكِ الحُرْمَةِ. وَقِيلَ: الحُرْمَةُ خَيْرٌ مِنَ الطَّاعَةِ، أَلَا يَرَى: أَنَّ الإِنْسَانَ لَا يَكْفُرُ بِالمَعْصِيَةِ وَلَكِنْ يَكْفُرُ بِاسْتِخْفَافِهَا، وَمِنْ تَعْظِيمِ العِلْمِ تَعْظِيمُ الأُسْتَاذِ، قَالَ عَلِيٌّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أَنَا عَبْدُ مَنْ عَلَّمَنِي حَرْفًا، وَقَالَ عَلِيٌّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: مَنْ عَلَّمَنِي حَرْفًا فَقَدْ صَيَّرَنِي عَبْدًا، إِنْ شَاءَ بَاعَ وَإِنْ شَاءَ خَدَمَ.

وَنِعْمَ مَا قِيلَ:

رَأَيْتُ أَحَقَّ الحَقِّ حَقَّ المُعَلِّمِ ۞ وَأَوْجَبَهُ حِفْظًا عَلَى كُلِّ مُسْلِمِ

لَقَدْ حَقَّ أَنْ يُهْدَى إِلَيْهِ كَرَامَةً ۞ لِتَعْلِيمِ حَرْفٍ وَاحِدٍ أَلْفُ دِرْهَمِ

وَقَالَ شَمْسُ الأَئِمَّةِ الحَلْوَانِي: إِنَّمَا نِلْتُ هَذَا العِلْمَ بِتَعْظِيمِ المُعَلِّمِ.

التَّوَاضُعُ مَعَ الْمُعَلِّمِ

وَيَطْلُبُ الْمُتَعَلِّمُ مَسَرَّةَ الْمُعَلِّمِ بِالتَّوَاضُعِ، وَالتَّمَلُّقِ، وَالدُّعَاءِ، وَالْخِدْمَةِ، وَالنُّصْرَةِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ.

تَقْدِيمُ حَقِّ الْمُعَلِّمِ عَلَى حَقِّ وَالِدَيْهِ

وَيُقَدِّمُ حَقَّ أُسْتَاذِهِ عَلَى حَقِّ أَبَوَيْهِ وَسَائِرِ الْمُسْلِمِيْنَ، كَمَا قَالَ النَّبِيُّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: (خَيْرُ الْآبَاءِ مَنْ عَلَّمَكَ). وَقَالَ النَّبِيُّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: (إِنَّمَا الْمُعَلِّمُ أَبٌ لَكُمْ، مِثْلُ الْوَالِدِ لِوَلَدِهِ). بَلْ هُوَ الْوَالِدُ عَلَى الْحَقِيقَةِ، فَإِنَّ الْأَبَ سَبَبُ الْحَيَاةِ الْفَانِيَةِ، وَالْمُعَلِّمُ سَبَبُ الْحَيَاةِ الْبَاقِيَةِ، وَلِذَلِكَ يُقَدَّمُ حَقُّهُ عَلَى حَقِّ الْأَبَوَيْنِ. وَقَالَ بَعْضُهُمْ: الْآبَاءُ ثَلَاثَةٌ: أَبٌ رَبَّاكَ، وَأَبٌ وَلَدَكَ، وَأَبٌ عَلَّمَكَ، وَخَيْرُ الْآبَاءِ مَنْ عَلَّمَكَ. قَالَ يَحْيَى بْنُ مُعَاذٍ: الْمُعَلِّمُ خَيْرٌ مِنْ آبَائِكُمْ وَأُمَّهَاتِكُمْ؛ لِأَنَّ آبَاءَكُمْ وَأُمَّهَاتِكُمْ يَحْفَظُوْنَ مِنْ نَارِ الدُّنْيَا، وَمُعَلِّمُ الْخَيْرِ يَحْفَظُ مِنْ نَارِ الْآخِرَةِ. وَفِي

الخَبَر : قِيلَ لِإِسْكَنْدَرَ ذِي القَرْنَيْنِ : لِمَ تُعَظِّمُ أُسْتَاذَكَ أَكْثَرَ مِنْ أَبَوَيْكَ ؟ فَقَالَ : لِأَنَّ أَبِي أَنْزَلَنِي مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الأَرْضِ ، وَأُسْتَاذِي يَرْفَعُنِي مِنَ الأَرْضِ إِلَى السَّمَاءِ.

الكَرَمُ مَعَ المُعَلِّمِ

وَلَا يَبْخَلُ المُتَعَلِّمُ بِشَيْءٍ مِنْ مَالِهِ عَنْ أُسْتَاذِهِ ، وَيَحْمِلُ مَا يَسْمَعُ مِنْ خَطَايَاهُ عَلَى أَحْسَنِ التَّأْوِيلِ ، كَمَا قَالَ النَّبِيُّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ : (حَمْلُ المُؤْمِنِ عَلَى الصَّلَاحِ هُوَ أَقْرَبُ فِي الفَلَاحِ ، وَهُوَ الفَوْزُ وَالنَّجَاةُ)

الجِدِّيَّةُ فِي العِلْمِ

وَلَا يَضْحَكُ فِي العِلْمِ وَسَمَاعِهِ ، وَلَا يَلْعَبُ فِيهِ فَيَمُوتُ قَلْبُهُ ، وَلَا يُجَادِلُ مَعَهُ فِي العِلْمِ ، وَلَا يُعَارِضُ فَإِنَّهُ يَدُقُّ بَابَ الضَّلَالِ ، وَيُورِثُ المَلَالَ.

تَعْظِيْمُ الْكُتُبِ

وَمِنْ تَعْظِيْمِ العِلْمِ تَعْظِيْمُ الكِتَابِ ، وَعَدَمُ مَدِّ الرِّجْلِ نَحْوَ الكِتَابِ ، وَيَنْبَغِيْ لِلْمُتَعَلِّمِ أَلَّا يَأْخُذَ الْكِتَابَ إِلَّا بِطَهَارَةٍ ، وَيَضَعَ كِتَابَ التَّفْسِيْرِ فَوْقَ سَائِرِ الْكُتُبِ ، وَلَا يَضَعَ عَلَى الْكِتَابِ شَيْئًا آخَرَ.

تَعْظِيْمُ الْمُعَلِّمِ

وَلَا يَمْشِيْ أَمَامَ أُسْتَاذِهِ ، وَلَا يَجْلِسُ مَكَانَهُ ، وَلَا يَبْتَدِئُ الْكَلَامَ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ ، وَلَا يَسْأَلُ شَيْئًا عِنْدَ مَلَالِهِ ، وَالْحَاصِلُ كَانَ فِيْ رِضَائِهِ مِنْ أَيِّ وَجْهٍ كَانَ ، وَيَحْتَرِزُ عَنْ سُخْطِهِ.

تَعْظِيْمُ أَوْلَادِ الْمُعَلِّمِ

وَمِنْ تَعْظِيْمِ الْعِلْمِ تَعْظِيْمُ الشُّرَكَاءِ ، وَتَعْظِيْمُ أَوْلَادِ أُسْتَاذِهِ وَمَنْ يَتَعَلَّقُ بِهِ. حَكَى صَاحِبُ الهِدَايَةِ : أَنَّ وَاحِدًا مِنْ كِبَارِ أَئِمَّةِ البُخَارِي، كَانَ يَجْلِسُ مَجْلِسَ الدَّرْسِ ، وَكَانَ يَقُوْمُ فِيْ أَثْنَاءِ الدَّرْسِ

أَحْيَانًا ، فَسَأَلْوْاعَنْهُ ، فَقَالَ : إِنَّ ابْنَ أُسْتَاذِيْ يَلْعَبُ مَعَ الصِّبْيَانِ فِي السِّكَّةِ ، وَيَجِيْءُ أَحْيَانًا إِلَى بَابِ المَسْجِدِ ، فَإِذَا رَأَيْتُهُ أَقُوْمُ تَعْظِيْمًا لِأُسْتَاذِيْ.

التَّمَلُّقُ فِي طَلَبِ الْعِلْمِ

وَالتَّمَلُّقُ مَذْمُوْمٌ إِلَّا فِيْ طَلَبِ العِلْمِ فَإِنَّهُ يُنْبَغِيْ أَنْ يَتَمَلَّقَ لِأُسْتَاذِهِ ، وَشُرَكَائِهِ ، لِيَسْتَفِيْدَ مِنْهُمْ ، قَالَ أَبُوْ بَكْرٍ الصِّدِّيْقُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : الحِلْمُ زِيْنَةُ العِلْمِ ، وَالتَّذَلُّلُ زِيْنَةُ المُتَعَلِّمِ كَمَا مَرَّ. قَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ : لَيْسَ مِنْ أَخْلَاقِ المُؤْمِنِ التَّمَلُّقُ إِلَّا فِيْ طَلَبِ العِلْمِ.

الدُّعَاءُ لِلْمُعَلِّمِ

وَيَنْبَغِيْ لِطَالِبِ العِلْمِ : أَنْ يَسْتَمِعَ العِلْمَ وَالحِكْمَةَ ، بِالتَّعْظِيْمِ وَالحُرْمَةِ وَمِنْ تَعْظِيْمِ الأُسْتَاذِ الدُّعَاءُ لَهُ بِالخَيْرِ سِرًّا وَجَهْرًا ، وَالخِدْمَةُ لَهُ وَالنُّصْرَةُ.

وَقَدْ قَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ : (مَنْ عَلَّمَ عَبْدًا آيَةً مِنْ كِتَابِ اللهِ تَعَالَى فَهُوَ مَوْلَاهُ) ، لَا يَتْرُكُ عَوْنَهُ وَلَا نُصْرَتَهُ ، وَلَا يَخْتَارُ عَلَى أُسْتَاذِهِ أَحَدًا ، فَإِذَا فَعَلَ ذٰلِكَ ، ضَيَّعَ مَا حَصَلَهُ مِنْهُ.

طَهَارَةُ النَّفْسِ

وَيَجِبُ عَلَى الْمُتَعَلِّمِ : تَقْدِيْمُ طَهَارَةِ النَّفْسِ عَنْ رَذَائِلِ الأَخْلَاقِ لِقَوْلِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ : (بُنِيَ الإِسْلَامُ عَلَى النَّظَافَةِ). وَمَا هٰذِهِ فِي الثِّيَابِ فَحَسْبُ ؛ بَلْ فِي القَلْبِ ، وَيَدُلُّ عَلَيْهِ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ﴾ [التوبة : ٢٨] ، فَبَيَّنَ أَنَّ النَّجَاسَةَ لَا تَخْتَصُّ بِالثِّيَابِ ؛ فَمَنْ لَمْ يُنَظِّفْ البَاطِنَ عَنِ الخَبَائِثِ لَا يَقْبَلُ الْعِلْمَ النَّافِعَ ، وَلَا يَسْتَضِيْءُ بِنُوْرِ الْعِلْمِ.

تَفْوِيْضُ الْمُعَلِّمِ فِي اخْتِيَارِ نَوْعِ الْعِلْمِ

وَيَجِبُ عَلَى الْمُتَعَلِّمِ : أَلَّا يَخْتَارَ نَوْعَ العِلْمِ بِنَفْسِهِ ؛ بَلْ يُفَوِّضُ أَمْرَهُ إِلَى أُسْتَاذِهِ ، فَإِنَّ الأُسْتَاذَ قَدْ حَصَلَ لَهُ التَّجَارُبُ فِي ذٰلِكَ ، فَكَانَ

أَعْرَفَ مَا يَنْبَغِي لِكُلِّ وَاحِدٍ ، وَمَا يَلِيقُ بِطَبِيعَتِهِ. وَقَالَ بُرْهَانُ الدِّينِ رَحِمَهُ اللهُ : كَانَ طَالِبُ العِلْمِ فِي الزَّمَانِ الأَوَّلِ يُفَوِّضُ أَمْرَهُ إِلَى أُسْتَاذِهِ ، وَكَانَ يَصِلُ إِلَى مَقْصُودِهِ وَمُرَادِهِ ، وَالآنَ يَخْتَارُونَ بِأَنْفُسِهِمْ ، وَلَا يَصِلُونَ مَقْصُودَهُمْ مِنَ العِلْمِ .

عَدَمُ التَّكَبُّرِ عَلَى الْمُعَلِّمِ

وَيَجِبُ عَلَى الْمُتَعَلِّمِ : أَلَّا يَتَكَبَّرَ عَلَى الْمُعَلِّمِ ، وَلَا يَتَأَمَّرَ عَلَيْهِ ، بَلْ يُلْقِيْ زِمَامَ الِاخْتِيَارِ إِلَيْهِ.

السَّفَرُ فِي طَلَبِ الْعِلْمِ

وَيَنْبَغِي لِلْمُتَعَلِّمِ : أَنْ يُقَلِّلَ عَلَائِقَهُ ، وَيَبْعُدَ عَنْ وَطَنِهِ ؛ حَتَّى يَتَفَرَّغَ قَلْبُهُ لِلْعِلْمِ ، كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَى : ﴿مَّا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِۦ﴾ [الأحزاب : ٤] وَلِذَلِكَ قِيلَ : الْعِلْمُ لَا يُعْطِيكَ بَعْضَهُ ، حَتَّى تُعْطِيَهُ كُلَّكَ.

الِابْتِعَادُ فِيْ الْجُلُوْسِ عِنْدَ الْمُعَلِّمِ

وَيَنْبَغِيْ لِلْمُتَعَلِّمِ : أَلَّا يَجْلِسَ قَرِيْباً مِنْ أُسْتَاذِهِ عِنْدَ قِرَاءَةِ الدَّرْسِ بِغَيْرِ ضَرُوْرَةٍ ، بَلْ يَنْبَغِيْ أَنْ يَكُوْنَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أُسْتَاذِهِ قَدْرُ الْقَوْسِ.

إِخْلَاصُ النِّيَّةِ

وَيَجِبُ أَنْ يَنْوِيَ الْمُتَعَلِّمُ بِتَحْصِيْلِ الْعِلْمِ رِضَاءَ اللهِ تَعَالَى ، وَالدَّارَ الْآخِرَةِ ، وَإِزَالَةَ الْجَهْلِ عَنْ نَفْسِهِ وَعَنْ سَائِرِ الْجُهَّالِ ، وَإِحْيَاءَ الدِّيْنِ ، وَإِبْقَاءَ الْإِسْلَامِ فَإِنَّ بَقَاءَ الْإِسْلَامِ بِالْعِلْمِ ، وَيَنْوِي بِهِ الشُّكْرَ عَلَى نِعْمَةِ الْعَقْلِ ، وَصِحَّةِ الْبَدَنِ. وَلَا يَنْوِيَ بِهِ إِقْبَالَ النَّاسِ إِلَيْهِ ، وَاسْتِجْلَابَ مَتَاعِ الدُّنْيَا ، وَالْإِكْرَامَ عِنْدَ السُّلْطَانِ وَغَيْرِهِ ، وَقَالَ حَمَّادُ رَحْمَةُ اللهِ عَلَيْهِ أُسْتَاذُ أَبِيْ حَنِيْفَةَ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى.

مَنْ طَلَبَ الْعِلْمَ لِلْمَعَادِ ۞ فَازَ بِفَضْلٍ مِنَ الرَّشَادِ

فَيَا لَخُسْرَانِ طَالِبِيْهِ ۞ لِنَيْلِ فَضْلٍ مِنَ الْعِبَادِ

اللّٰهُمَّ إِلَّا إِذَا طَلَبَ الْجَاهَ لِلْأَمْرِ بِالْمَعْرُوْفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَتَنْفِيْذِ الْحَقِّ، وَإِعْزَازِ الْعِلْمِ وَإِحْيَاءِ الدِّيْنِ، لَا لِنَفْسِهِ.

التَّمَيُّزُ فِي اللِّبَاسِ

وَيَنْبَغِي أَنْ يَكُوْنَ الْعُلَمَاءُ وَطُلَّابُ الْعِلْمِ فِيْ زَمَانِنَا أَحْسَنَ ثِيَابًا، وَأَعْظَمَ عِمَامَةً، وَأَوْسَعَ أَكْمَامًا فَرْقًا عَنِ الْجُهَلَاءِ، كَمَا قَالَ أَبُوْ حَنِيْفَةَ رَحِمَهُ اللهُ لِأَصْحَابِهِ: عَظِّمُوْا عَمَائِمَكُمْ، وَوَسِّعُوْا أَكْمَامَكُمْ، قَالَ ذٰلِكَ لِئَلَّا يُسْتَخَفَّ بِالْعِلْمِ وَأَهْلِهِ. وَمَنْ طَعَنَ بِأَطْوَارِ عُلَمَاءِ زَمَانِنَا الَّتِيْ هِيَ لِتَنْفِيْذِ الْحَقِّ، وَإِعْزَازِ الْعِلْمِ وَإِحْيَاءِ الدِّيْنِ يَكْفُرُ، وَأَمَّا الْأَطْوَارُ الَّتِيْ لِمُجَرَّدِ الْعُرُفِ، وَالتَّعْظِيْمِ فِيْمَا بَيْنَهُمْ، فَلَيْسَ بِشَيْءٍ.

مُخَالَفَةُ الْوَالِدَيْنِ فِي التَّعَلُّمِ

وَيَجُوْزُ الْمُخَالَفَةُ لِوَالِدَيْهِ فِي التَّعَلُّمِ ، قَالَ فِي مَنْبَعِ الآدَبِ قِيْلَ :
كُلُّ مَا لَا يُؤْمَنُ مِنَ الهَلَاكِ مَعَ جَهْلِهِ ، فَطَلَبُ عِلْمِهِ فَرْضُ عَيْنٍ ، لَا يَجُوْزُ تَرْكُهُ وَإِنْ مَنَعَ الأَبُ عَنْ طَلَبِهِ ، بِسَوَاءٍ كَانَ مِنَ الأُمُوْرِ الِاعْتِقَادِيَّةِ كَمَعْرِفَةِ الصَّانِعِ وَصِفَاتِهِ ، وَمَا يَجِبُ لَهُ ، وَمَا يَسْتَحِيْلُ عَلَيْهِ ، وَمَا يَجُوْزُ ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُوْلُهُ ، الصَّادِقُ فِيْ أَفْعَالِهِ وَأَقْوَالِهِ ، وَمِنَ الطَّاعَاتِ الَّتِيْ تَتَعَلَّقُ بِالظَّاهِرِ كَالطَّهَارَةِ ، وَالصَّلَاةِ ، وَالصَّوْمِ ، وَغَيْرِهَا . أَوْ مِمَّا يَتَعَلَّقُ مِنْهَا بِالْبَاطِنِ : كَالنِّيَّةِ ، وَالإِخْلَاصِ ، وَالتَّوَكُّلِ ، وَالصَّبْرِ ، وَالشُّكْرِ ، وَغَيْرِهَا . وَمِنَ المَعَاصِيْ الَّتِيْ تَتَعَلَّقُ بِالظَّاهِرِ : كَالنَّظَرِ بِشَهْوَةٍ إِلَى أَجْنَبِيَّةٍ أَوْ أَمْرَدٍ ، وَالغِيْبَةِ ، وَكُلِّ مَا يَتَعَلَّقُ بِاللِّسَانِ ، وَكَشُرْبِ الخَمْرِ ، وَالزِّنَا ، وَأَكْلِ الحَرَامِ وَالرِّبَا ، وَغَيْرِ ذَلِكَ. أَوْ مِمَّا يَتَعَلَّقُ مِنْهَا بِالْبَاطِنِ : كَالحَسَدِ ، وَالكِبْرِ ، وَالرِّيَاءِ ، وَسُوْءِ الظَّنِّ وَغَيْرِ

ذٰلِكَ ، فَإِنَّ مَعْرِفَةَ هٰذِهِ الْأَشْيَاءِ فَرْضُ عَيْنٍ ، وَيَجِبُ عَلَى الْمُكَلَّفِ طَلَبُهَا وَتَحْصِيلُهَا وَإِنْ لَمْ يَأْذَنْ لَهُ أَبَوَاهُ.

تَقْدِيمُ الْأَهَمِّ مِنَ الْعُلُوْمِ

وَيَجِبُ عَلَى الْمُتَعَلِّمِ : أَنْ يُقَدِّمَ فِي التَّعَلُّمِ الْأَهَمَّ مِنَ الْعُلُوْمِ وَهُوَ الصَّرْفُ وَالنَّحْوُ ، وَغَيْرُهُمَا عَلَى التَّرْتِيْبِ. وَذٰلِكَ أَنَّ الْعُلَمَاءَ لَا يَصِلُوْنَ مَقَاصِدَهُمْ مِنَ الْعُلُوْمِ إِلَّا بِسَبَبِ الْأَلْفَاظِ ، وَالْأَلْفَاظُ لَا تَحْصُلُ إِلَّا بِهِمَا.

وَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ الْمُبَارَكِ أَنَّهُ قَالَ : مَاتَ أَبِيْ وَخَلَّفَ لِي سِتِّيْنَ أَلْفَ دِرْهَمٍ فَأَنْفَقْتُ مِنْهَا ثَلَاثِيْنَ أَلْفَ دِرْهَمٍ فِي تَعَلُّمِ الْفِقْهِ ، وَثَلَاثِيْنَ أَلْفًا فِي تَعَلُّمِ النَّحْوِ وَالْأَدَبِ وَلَيْتَ الَّذِي أَنْفَقْتُهُ فِي تَعَلُّمِ الْفِقْهِ أَنْفَقْتُهُ فِي تَعَلُّمِ النَّحْوِ وَالْأَدَبِ ، فَإِنَّ النَّصَارَى كَفَرُوْا بِتَحْرِيْفِ حَرْفٍ وَاحِدٍ مِنْ كِتَابِ اللهِ تَعَالَى ، حَيْثُ وَجَدُوْا فِي الْإِنْجِيلِ مَكْتُوْبًا: إِنِّي أَنَا

اللهُ وَلَدَتْ عِيْسَى عَنْ عَذْرَاءَ بَتُوْلٍ - أَيْ : مُنْقَطِعَةٍ عَنِ الأَزْوَاجِ بِتَشْدِيْدِ لَامِ وَلَّدَتْ - فَقَرَؤُوْهَا بِتَخْفِيْفِهَا فَكَفَرُوْا.

قِيْلَ :

الْنَّحْوُ زَيْنٌ لِلْفَتَى ❁ يُكْرَمُ بِهِ حَيْثُ أَتَى

فَمَنْ لَمْ يَعْرِفِ النَّحْوَ ❁ فَوَاجِبٌ أَنْ يَسْكُتَا

وَيَأْخُذُ مِنْ كُلِّ عِلْمٍ أَحْسَنَهُ وَأَرْشَدَهُ أَيْ : مَا يُرْشِدُ صَاحِبَهُ إِلَى الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيْمِ ، كَالْفِقْهِ ، وَالْحَدِيْثِ ، وَالتَّفْسِيْرِ مِنَ الْعُلُوْمِ الشَّرْعِيَّةِ وَالصَّرْفِ ، وَالنَّحْوِ ، وَالْمَعَانِيْ فِي الْعُلُوْمِ الْعَرَبِيَّةِ .

قَالَ الشَّافِعِيُّ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى : إِنَّمَا الْعِلْمُ مَنِيْعٌ غَوْرِهِ ، فَخُذُوْا مِنْ كُلِّ عِلْمٍ أَحْسَنَهُ ، وَيَكْتُبُ وَيَسْتَفِيْدُ ، وَيَطْلُبُ مِنْ كُلِّ فَنٍّ نَصِيْبًا كَافِيًا غَيْرَ زَائِدٍ عَلَى قَدْرِ الْحَاجَةِ ، فَإِنَّ التَّفَنُّنَ لَازِمٌ لِلْعِلْمِ ، وَلِذَلِكَ قِيْلَ : مَنْ طَلَبَ اللهَ تَعَالَى بِعِلْمِ الْكَلَامِ وَحْدَهُ يَصِيْرُ زِنْدِيْقًا ،

وَمَنْ طَلَبَ اللّٰهَ تَعَلَى بِالزُّهْدِ وَحْدَهُ غَيْرَ مُقَارِنٍ لِلْعِلْمِ ارْتَكَبَ الْبِدْعَةَ ، وَمَنْ طَلَبَ اللّٰهَ تَعَالَى بِالْفِقْهِ وَحْدَهُ صَارَ فَاسِقًا ، وَمَنْ تَفَنَّنَ تَخَلَّصَ مِنْ كُلِّ ذٰلِكَ.

اغْتِنَامُ الْوَقْتِ

وَيَجِبُ عَلَى الْمُتَعَلِّمِ : أَنْ يَكُوْنَ مُسْتَفِيْدًا فِيْ كُلِّ وَقْتٍ ، حَتَّى يَحْصُلَ لَهُ الْفَضْلُ ، وَأَنْ يَكُوْنَ مَعَهُ فِيْ كُلِّ وَقْتٍ مِحْبَرَةٌ ، حَتَّى يَكْتُبَ مَا سَمِعَهُ مِنَ الْفَوَائِدِ ، وَلِذٰلِكَ قِيْلَ : مَنْ حَفِظَ فَرَّ ، وَمَنْ كَتَبَ قَرَّ.

وَقِيْلَ : أَحْسَنُ الْعِلْمِ مَا يُحْفَظُ مِنْ أَفْوَاهِ الرِّجَالِ ؛ لِأَنَّهُمْ يَحْفَظُوْنَ أَحْسَنَ مَا يَسْمَعُوْنَ ، وَيَقُوْلُوْنَ أَحْسَنَ مَا يَحْفَظُوْنَ.

مِنْ طَلَبِ الْعِلْمِ

وَلَا يُعْرِضُ الْمُتَعَلِّمُ عَنِ الْعِلْمِ وَالتَّعَلُّمِ، إِذَا لَمْ يُؤَثِّرْ فِي قَلْبِهِ شَيْءٌ مِنَ الْعِلْمِ، فَإِنَّ الْعِلْمَ إِذَا دَخَلَ السَّمْعَ نَفَعَهُ يَوْمًا، وَكَذَا عَمِلَ بِمَا عَلِمَ وَلَمْ يَتْرُكْهُ، كَمَا قَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: (مَا لَا يُدْرَكُ كُلُّهُ لَا يُتْرَكُ كُلُّهُ). وَقَالَ النَّبِيُّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: (مَنْ عَمِلَ بِمَا عَلِمَ، وَرَّثَهُ اللهُ تَعَالَى عِلْمَ مَا لَمْ يَعْلَمْ).

حُسْنُ السُّؤَالِ

وَيُحْسِنُ سُؤَالَهُ، فَإِنَّ حُسْنَ السُّؤَالِ نِصْفُ الْعِلْمِ، وَالسُّؤَالُ مِفْتَاحُ خَزَائِنِ الْعِلْمِ، فَإِنَّ صُدُورَ الْعُلَمَاءِ خَزَائِنُ الْعِلْمِ، فَيَفْتَحُ أَبْوَابَهَا - أَيْ: أَفْوَاهَهُمْ - بِالسُّؤَالِ عَنْهُمْ.

العِلْمُ فِي الصِّغَرِ

وَيَجِبُ عَلَى الْمُتَعَلِّمِ : أَنْ يَتَعَلَّمَ فِيْ صِغَرِهِ ، قَبْلَ الْبُلُوْغِ أَوْ بَعْدَهُ ، فَفِيْ الحَدِيْثِ : (مَثَلُ الَّذِيْ يَتَعَلَّمُ الْفَرْضَ فِيْ صِغَرِهِ كَالْوَشْمِ عَلَى الصَّخْرَةِ) ، أَيْ : النَّقْشِ عَلَى الحَجَرِ ، كَمَا قِيْلَ : العِلْمُ فِي الصِّغَرِ كَالنَّقْشِ عَلَى الحَجَرِ ، كَمَا مَرَّ وَالعِلْمُ فِيْ الكِبَرِ كَالنَّقْشِ عَلَى المَدَرِ وَالَّذِيْ يَتَعَلَّمُ فِيْ الكِبَرِ كَالَّذِيْ يَكْتُبُ عَلَى المَاءِ المُتَجَمِّدِ ؛ فَإِنَّهُ يَزُوْلُ سَرِيْعًا ، إِلَّا مَنْ يَهْدِيْهِ اللهُ تَعَالَى فَإِنَّهُ لَا مَانِعَ لِهِدَايَةِ اللهِ.

العِلْمُ ضَالَّةُ المُتَعَلِّمِ

وَيَجِبُ أَنْ يَتَعَلَّمَ مِنْ كُلِّ عَالِمٍ صَغِيْرٍ ، وَكَبِيْرٍ ، وَغَنِيٍّ ، وَفَقِيْرٍ ، وَلَا يَسْتَنْكِفَ مِنْ إِسْتِفَادَةِ العِلْمِ مِمَّنْ هُوَ أَدْنَى حَالًا مِنْهُ أَيْ : مِنَ المُتَعَلِّمِ - فَإِنَّ العِلْمَ ضَالَّةُ المُؤْمِنِ ، أَخَذَهَا حَيْثُ وَجَدَهَا . وَأَيْضًا : العِلْمُ سَبَبُ النَّجَاةِ مِنْ سَبُعِ الجَهْلِ ، وَمَنْ طَلَبَ مَهْرَبًا مِنْ سَبُعِ

يُهْلِكُهُ، فَلَا يُفَرِّقُ بَيْنَ مُرْشِدِ الشَّرِيفِ أَوِ الحَقِيرِ إِلَى المَهْرَبِ، وَكَذَلِكَ يَجِبُ لِطَالِبِ المَهْرَبِ عَنْ سَبُعِ الجَهْلِ: أَلَّا يُفَرِّقَ بَيْنَهُمَا.

الجِدُّ وَالمُوَاظَبَةُ

وَيَجِبُ عَلَى المُتَعَلِّمِ الجِدُّ وَالمُوَاظَبَةُ وَالمُلَازَمَةُ لِطَلَبِ العِلْمِ، وَإِلَيْهِ الإِشَارَةُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [العنكبوت: ٦٩] كَمَا قَالَ النَّبِيُّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: (مَنْ طَلَبَ شَيْئًا وَجَدَّ وَجَدَ، وَمَنْ قَرَعَ بَابًا وَلَجَّ وَلَجَ). قِيلَ: بِقَدْرِ سَعْيِكَ تَنَالُ مَا تَتَمَنَّى، فَإِنَّ العِلْمَ كَنْزٌ لَا يَحْصُلُ إِلَّا بِالْمَشَقَّةِ، فَإِنَّ مَنْ لَمْ يَصْبِرْ عَلَى مَشَقَّةِ العِلْمِ سَاعَةً يَبْقَى فِي ظُلُمَاتِ الجَهْلِ أَبَدًا.

وَيَجِبُ فِي تَحْصِيلِ العِلْمِ مِنْ سَعْيِ ثَلَاثَةٍ: المُعَلِّمُ، وَالمُتَعَلِّمُ، وَالأَبُ إِنْ كَانَ حَيًّا، وَإِذَا فُقِدَ وَاحِدٌ فُقِدَ العِلْمُ.

اِخْتِيَارُ وَقْتِ الْحِفْظِ

وَيَجِبُ عَلَى الْمُتَعَلِّمِ مُوَاظَبَةُ الدَّرْسِ ، وَالتِّكْرَارُ فِيْ أَوَّلِ اللَّيْلِ وَآخِرِهِ ، فَإِنَّ مَا بَيْنَ الْعِشَاءَيْنِ ، وَوَقْتَ السَّحَرِ ، وَقْتٌ مُبَارَكٌ.

قِيْلَ :

يَـاطَالِبَ الْعِلْمِ بَاشِرِ الْوَرَعَا ✿ وَجَـانِبِ النَّـوْمَ وَاتْرُكِ الشِّبَـعَا

وَدُمْ عَلَى الدَّرْسِ لَاتُـــفَارِقُهُ ✿ فَإِنَّ الْعِلْمَ بِالدَّرْسِ قَامَ وَارْتَفَعَا

اَلْهِمَّةُ الْعَالِيَةُ

وَيَجِبُ عَلَى الْمُتَعَلِّمِ اَلْهِمَّةُ الْعَالِيَةُ فِيْ الْعِلْمِ وَغَيْرِهِ ، فَإِنَّ الْمَرْءَ يَطِيْرُ بِهِمَّتِهِ كَالطَّيْرِ يَطِيْرُ بِجَنَاحَيْهِ. وَقِيْلَ :

عَلَى قَدْرِ أَهْلِ الْعَزْمِ تَأْتِي الْعَزَائِمُ ✿ وَتَأْتِي عَلَى قَدْرِ الْكِرَامِ الْمَكَارِمُ

وَأَمَّا إِذَا كَانَتْ لَهُ هِمَّةٌ ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ جِدٌّ ، أَوْ كَانَ لَهُ جِدٌّ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ هِمَّةٌ عَالِيَةٌ ، فَلَا يَحْصُلُ لَهُ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيْلٌ.

التَّقْوَى فِي طَلَبِ الْعِلْمِ

وَيَجِبُ عَلَى الْمُتَعَلِّمِ : الصَّلَاحُ وَالتَّقْوَى ، فَإِنَّ الْعِلْمَ لَا يَحْصُلُ إِلَّا بِهَا ، فَإِنَّ العِلْمَ الحَاصِلَ بِالْفِسْقِ وَالفُجُوْرِ لَا يَنْفَعُ صَاحِبَهُ ، وَلَا يُخَلِّصُهُ مِنْ ظُلُمَاتِ الجَهْلِ ، بَلْ يَجِبُ عَلَيْهِ أَنْ يَعْمَلَ بِمَا عَلِمَ فَإِنَّ الطَّالِبَ مَنِ الَّذِيْ إِذَا ازْدَادَ عِلْمُهُ ، ازْدَادَ تَقْوَاهُ ، حَتَّى يَكُوْنَ فِي الدَّارَيْنِ مِنَ الفَائِزِيْنَ.

الشُّكْرُ عَلَى الْعِلْمِ

وَيَجِبُ عَلَيْهِ الشُّكْرُ لِمَا حَصَلَ لَهُ مِنَ العِلْمِ. قَالَ أَبُوْ حَنِيْفَةَ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى : إِنَّمَا أَدْرَكْتُ الْعِلْمَ بِالْجُهْدِ وَالشُّكْرِ ، فَلَمَّا فَهِمْتُهُ وَوَقَفْتُ عَلَى عِلْمٍ قُلْتُ : الْحَمْدُ لِلّٰهِ ، فَازْدَادَ عِلْمِيْ. وَلَا يَعْتَمِدُ عَلَى نَفْسِهِ وَعَقْلِهِ ، بَلْ يَعْتَمِدُ وَيَتَوَكَّلُ عَلَى اللهِ تَعَالَى ، وَيَطْلُبُ الْعَوْنَ مِنْهُ تَعَالَى : ﴿وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ

فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا﴾ [الطلاق :٣] ، وَيَهْدِيْهِ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيْمٍ.

قَالَ النَّبِيُّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ :(مَنْ لَمْ يَتَوَرَّعْ فِي تَعَلُّمِهِ اِبْتَلَاهُ اللهُ تَعَالَى بِإِحْدَى ثَلَاثَةِ أَشْيَاءَ : إِمَّا أَنْ يُمِيْتَهُ فِي شَبَابِهِ ، أَوْ يُوْقِعَهُ فِي الرَّسَاتِيْقِ ، أَوْ يَبْتَلِيْهِ بِخِدْمَةِ السُّلْطَانِ). فَمَهْمَا كَانَ طَالِبُ الْعِلْمِ أَوْرَعَ ، كَانَ عِلْمُهُ أَنْفَعَ ، وَالتَّعَلُّمُ أَيْسَرَ ، وَفَوَائِدُهُ أَكْثَرَ.

الْمُحَافَظَةُ عَلَى الْعِلْمِ

وَيَجِبُ عَلَيْهِ أَنْ يَسْتَعْمِلَ مَا يَجْلِبُ الذَّكَاءَ ، وَيَدْفَعُ النِّسْيَانَ وَالْكَسْلَانَ ، فَإِنَّ زَوَالَ الْعِلْمِ بِالنِّسْيَانِ ، وَأَصْلُ النِّسْيَانِ بِالْعِصْيَانِ ، يَتَوَلَّدُ الْكَسَلُ مِنْ كَثْرَةِ الْبُلْغَمِ ؛ وَلِذٰلِكَ قِيْلَ : إِنَّ النِّسْيَانَ مِنْ كَثْرَةِ الْبُلْغَمِ ، وَكَثْرَةُ الْبُلْغَمِ مِنْ كَثْرَةِ شُرْبِ الْمَاءِ ، وَكَثْرَةُ شُرْبِ الْمَاءِ مِنْ كَثْرَةِ الْأَكْلِ ، فَاحْتَرِزْ مِنْهَا.

أَشْيَاءُ تُوْرِثُ النِّسْيَانَ

وَكَذٰلِكَ أَكْلُ التُّفَّاحِ الحَامِضِ ، وَالنَّظْرُ إِلَى المَصْلُوْبِ ، وَقِرَاءَةُ أَلْوَاحِ القَبْرِ ، وَالمُرُوْرُ بَيْنَ قِطَارِ الجَمَالِ ، وَإِلْقَاءُ القَمْلِ الحَيِّ عَلَى الأَرْضِ ، وَالحِجَامَةُ عَلَى نُقَرِ القَفَا ، يُوْرِثُ الكَسْلَانَ. وَأَمَّا أَكْلُ الخُبْزِ اليَابِسِ ، وَالزَّبِيْبِ عَلَى الجُوْعِ ، فَإِنَّهُمَا يَقْطَعَانِ البُلْغَمَ ، وَكَذٰلِكَ السِّوَاكُ فَإِنَّهُ يُقَلِّلُ البُلْغَمَ وَيَزِيْدُ فِي الحِفْظِ وَالفَصَاحَةِ ، وَكَذٰلِكَ القَيْءُ. وَأَمَّا طَرِيْقُ تَقْلِيْلِ الأَكْلِ : التَّأَمُّلُ فِي مَنَافِعِ قِلَّةِ الأَكْلِ وَهِيَ : الصِّحَّةُ وَالعِفَّةُ ، وَالإِيْثَارُ.

قِيْلَ :

شَقَاءُ المَرْءِ مِنْ أَجْلِ الطَّعَمِ ✿ فَعَارٌ ، ثُمَّ عَارٌ ، ثُمَّ عَارُ

وَأَقْوَى أَسْبَابِ الحِفْظِ : الجِدُّ ، وَالمُوَاظَبَةُ ، وَتَقْلِيْلُ الغِذَاءِ ، وَصَلَاةِ اللَّيْلِ ، وَقِرَاءَةُ القُرْآنِ نَظْرًا. وَقِيْلَ : لَيْسَ شَيْءٌ أَزْيَدَ فِي الحِفْظِ مِنْ قِرَاءَةِ القُرْآنِ نَظْرًا. وَيَطْلُبُ المُتَعَلِّمُ العِلْمَ يَوْمَ الإِثْنَيْنِ

، وَالْأَرْبِعَاءِ وَالْخَمِيسِ ، وَالْجُمُعَةِ ، فَإِنَّهُ تَيْسِيرٌ لَهُ ، هَكَذَا رُوِيَ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهُ ، ذَكَرَهُ فِي الْخُلَاصَةِ ، قَالَ النَّبِيُّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ : (مَا مِنْ شَيْءٍ يُبْدَأُ فِي يَوْمِ الْأَرْبِعَاءِ إِلَّا وَقَدْ تَمَّ) ، هَكَذَا فَعَلَ أَبُوْ حَنِيْفَةَ رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهُ. وَقِيْلَ : إِنَّ يُوْسُفَ الْهَمَدَانِيَّ وَقَّفَ كُلَّ عَمَلٍ مِنْ أَعْمَالِ الْخَيْرِ إِلَى يَوْمِ الْأَرْبِعَاءِ، وَذَلِكَ أَنَّ يَوْمَ الْأَرْبِعَاءِ يَوْمٌ خَلَقَ اللّٰهُ تَعَالَى فِيْهِ النُّوْرَ.

التَّكْرَارُ أُسُّ الْحِفْظِ

وَأَمَّا قَدْرُ السَّبْقِ ، فَيَنْبَغِي لِلْمُبْتَدِئِ أَنْ يَكُوْنَ قَدْرَ مَا يُمْكِنُ ضَبْطُهُ بِالْإِعَادَةِ مَرَّةً ، أَوْ مَرَّتَيْنِ ، وَيَزِيْدُ كَلِمَةً بِمِقْدَارِ مَا حَصَلَ حِفْظُهُ بِلَا مَشَقَّةٍ. قِيلَ : السَّبْقُ حَرْفٌ ، وَالتَّكْرَارُ أَلْفٌ ، وَيُكَرِّرُ سَبْقَ الْأَمْسِ خَمْسَ مَرَّاتٍ ، وَسَبْقَ الْيَوْمِ الَّذِي قَبْلَ الْأَمْسِ أَرْبَعَ مَرَّاتٍ ، وَهَكَذَا إِلَى وَاحِدٍ ، وَيَجِبُ عَلَيْهِ أَنْ يُكَرِّرَ

كَثِيرًا بَعْدَ الحِفْظِ ، فَإِنَّهُ نَافِعٌ جِدًّا. قَالَ حَمَّادُ أُسْتَاذُ أَبِي حَنِيفَةَ رَحِمَهُ اللهُ فِي ذَلِكَ

اخْدُمِ العِلْمَ خِدْمَةَ الْمُسْتَفِيدِ ۞ وَأَدِمْ دَرْسَهُ بِفِعْلٍ حَمِيدِ

وَإِذَا مَا حَفِظْتَ شَيْئًا أَعِدْهُ ۞ ثُمَّ أَكِّدْهُ غَايَةَ التَّأْكِيدِ

وَلَا بُدَّ لَهُ مِنَ المُذَاكَرَةِ وَالمُطَارَحَةِ ، وَالمُنَاظَرَةِ ، وَالمُشَاوَرَةِ لِإِظْهَارِ الحَقِّ ، وَفَائِدَةُ المُطَارَحَةِ وَالمُنَاظَرَةِ ، أَقْوَى مِنْ فَائِدَةِ مُجَرَّدِ التِّكْرَارِ. وَقِيلَ : المُطَارَحَةُ سَاعَةً ، خَيْرٌ مِنْ تِكْرَارِ شَهْرٍ ، وَإِنَّمَا تَفَقَّهَ أَبُو حَنِيفَةَ رَحِمَهُ اللهُ بِكَثْرَةِ المُطَارَحَةِ وَالمُذَاكَرَةِ فِي دُكَّانِهِ حِينَ كَانَ بَزَّازًا.

السَّفَرُ فِي طَلَبِ الْعِلْمِ

وَيُسَافِرُ المُتَعَلِّمُ فِي طَلَبِ العِلْمِ إِلَى أَقْصَى البِلَادِ ، أَيْ : البَعِيدَةِ ، وَلَوْ سَافَرَ وَدَخَلَ الأَرْضَ كُلَّهَا رَاجِلًا.

حُكِيَ عَنْ شَقِيقٍ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى أَنَّهُ قَالَ لِابْنِهِ : لَوْ أَنَّ رَجُلًا سَافَرَ مِنَ المَشْرِقِ إِلَى المَغْرِبِ ، وَاسْتَفَادَ فِي سَفَرِهِ كَلِمَةً وَاحِدَةً مِنْ عَالِمٍ، مَا قُلْتُ : إِنَّ سَفَرَهُ ضَائِعٌ.

وَحُكِيَ أَنَّ خَلَفَ بْنَ أَيُّوبَ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى أَرْسَلَ ابْنَهُ مِنْ بَلْخٍ إِلَى بَغْدَادَ لِلتَّعَلُّمِ فَأَنْفَقَ عَلَيْهِ خَمْسِينَ أَلْفَ دِرْهَمٍ ، فَلَمَّا رَجَعَ قَالَ لَهُ : مَا تَعَلَّمْتَ ؟ قَالَ تَعَلَّمْتُ هٰذِهِ المَسْأَلَةَ : إِنَّ زَمَانَ الغُسْلِ مَحْسُوبٌ مِنَ الطُّهْرِ فِي حَقِّ صَاحِبَةِ العَشْرِ، وَمِنَ الحَيْضِ فِيمَا دُونَهَا. فَقَالَ خَلَفٌ : مَا ضَيَّعْتَ سَفَرَكَ.

فَصْلٌ : فِي النَّصَائِحِ

أَرْبَعَةُ أَشْيَاءَ تَزِيدُ فِي نُورِ العَيْنِ النَّظَرُ فِي المُصْحَفِ ، وَالنَّظَرُ إِلَى وَجْهِ أَبَوَيْنِ ، وَالنَّظَرُ إِلَى الكَعْبَةِ ، وَالنَّظَرُ إِلَى وَجْهِ العُلَمَاءِ.
وَأَرْبَعَةُ أَشْيَاءَ تَنْقُصُ مِنْ نُورِ العَيْنِ : أَكْلُ الطَّعَامِ المِلْحِ ، وَالمَشْيُ فِي أَعْيُنِ الشَّمْسِ ، وَالنَّظَرُ إِلَى وَجْهِ العَدُوِّ ، وَصَبُّ المَاءِ

الْجَارِ عَلَى الرَّأْسِ. وَأَرْبَعَةُ أَشْيَاءَ تُسَوِّدُ الْقَلْبَ : كَثْرَةُ الْكَلِمَاتِ ، وَكَثْرَةِ الضَّحْكِ ، وَكَثْرَةُ الأَكْلِ ، وَأَكْلُ الْحَرَامِ.

وَخَمْسَةُ أَشْيَاءَ تُنَوِّرُ الْقَلْبَ : قِرَاءَةُ سُورَةِ الإِخْلَاصِ ، وَقِلَّةُ أَكْلِ الطَّعَامِ ، وَمُجَالَسَةُ الْعُلَمَاءِ ، وَالإِكْثَارُ مِنْ صَلَاةِ اللَّيْلِ ، وَأَكْلُ النَّبَاتَاتِ الْمَأْكُولَةِ. أَرْبَعَةُ أَشْيَاءَ لَا تَعْتَمِدُ عَلَيْهَا : طِيبُ الْهَوَاءِ فِي فَصْلِ الشِّتَاءِ ، وَضَحْكُ الْمُلُوكِ ، وَمُلَاءَمَةُ الْعَدُوِّ ، وَزُهْدُ الْمَرْأَةِ.

اعْلَمْ أَنَّهُ إِذَا أَرَدْتَ أَنْ تَفْعَلَ شَيْئًا ، فَاعْلَمْ أَوَّلًا : أَنَّ اللهَ تَعَالَى حَاضِرٌ وَنَاظِرٌ فَوْقَكَ ، إِنْ كَانَ ذٰلِكَ الشَّيْءُ خَيْرًا ؛ فَافْعَلْهُ بِالْخُشُوعِ وَالْخُضُوعِ ، رِعَايَةً لِعَظَمَةِ اللهِ تَعَالَى ، وَإِلَّا فَاتْرُكِ الشَّيْءَ خَوْفًا مِنْ غَضَبِ اللهِ تَعَالَى وَعَذَابِهِ.

وَإِنْ شِئْتَ أَنْ تَعِيشَ مَعَ جَمِيعِ الْمَخْلُوقَاتِ بِالْمَحَبَّةِ وَالْمَوَدَّةِ فَارْعَ مَنْ كَانَ كَبِيرًا مِنْكَ كَأَبِيكَ ، وَمَنْ كَانَ مُسَاوِيًا لَكَ فِي

السِنّ كَأَخِيْكَ ، وَمَنْ كَانَ صَغِيْرًا مِنْكَ كَابْنِكَ ، وَلَا تَشْتَرِ شَيْئًا بِالنَّسِيْئَةِ مِنْ أَخِلَّائِكَ فَإِنَّهُ يُوْرِثُ الْبُغْضَ وَالْعَدَاوَةَ ، وَلَا تَقْتَرِضْ مِنْهُمْ ؛ لِأَنَّ الْقَرْضَ مِقْرَاضُ الْمَحَبَّةِ. وَلَا تَتَكَلَّمْ بِسِرِّكَ إِلَى ثَلَاثَةٍ: شَارِبِ الخَمْرِ ، وَالمَرْأَةِ ، وَالصَبِيّ. وَلَا تَكُنْ مِنْ تَارِكِ الصَّلَاةِ ، وَشَارِبِ الخَمْرِ ، وَالزَّانِيْ ، وَمَنْ لَا حَيَاءَ لَهُ ، فَإِنَّ هَؤُلَاءِ مَذْمُوْمُوْنَ عِنْدَ اللهِ تَعَالَى ، وَعِنْدَ جَمِيْعِ المَخْلُوْقَاتِ ، وَلَا تَرْجُ الْوَفَاءَ مِنَ العُمَّالِ ، وَمِمَّنْ يُشَابِهُهُمْ ، وَالمُنَافِقِ ، وَالغُلَامِ الصَبِيّ ، وَالسُّفَهَاءِ.

وَإِنْ شِئْتَ أَلَّا يُكْشَفَ عَيْبُكَ : لَا تُكْشِفْ عَيْبَ غَيْرِكَ ، كَمَا يُقَالُ : لَا تَقُلْ لَا تَسْمَعْ ، وَمَنْ دَقَّ دُقَّ. وَإِنْ شِئْتَ أَلَّا تَسْمَعَ كَلَامًا غَلِيْظًا ، فَلَا تَقُلْ لِلْغَيْرِ كَلَامًا غَلِيظًا وَلَا تَتْرُكْ أَخِلَّاءَ أَبِيْكَ ، فَإِنَّ أَخِلَّاءَ الأَبِ مِيْرَاثٌ لِلْابْنِ ، وَلَا تَأْمَنْ مِنْ أَعْدَاءِ أَبِيْكَ ، وَلَا تَدْخُلْ وَلَا تَتَكَلَّمْ بَيْنَ المَرْأَةِ وَزَوْجِهَا ، وَبَيْنَ التِّلْمِيْذِ وَأُسْتَاذِهِ ، وَبَيْنَ العَبْدِ وَمَوْلَاهُ ، وَبَيْنَ الأَبِ وَابْنِهِ.

ثُمَّ اعْلَمْ: أَنَّهُ يَنْبَغِي لِكُلِّ طَالِبِ عِلْمٍ أَنْ يَقْرَأَ وَيَحْفَظَ هٰذِهِ الرِّسَالَةَ، وَيُطَالِعَهَا وَيَسْتَعْمِلَهَا فِي كُلِّ زَمَانٍ، أَوْ تُقْرَأَ عَلَيْهِ وَيَسْتَمِعْ، وَيَحْفَظَ مَا سَمِعَ؛ لِأَنَّ مَنْ لَمْ يَعْرِفْ شَرَفَ العِلْمِ وَعَظَمَهُ وَسَعَادَةَ أَهْلِهِ، وَعَظَمَ شَأْنِهِمْ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، لَمْ يَجِدَّ، وَلَمْ يَسْعَ إِلَى تَحْصِيلِهِ، وَلَمْ يَصْبِرْ عَلَى المَشَقَّةِ فِيهِ، وَلَمْ يَحْصُلْ مُرَادُهُ، وَلَمْ يَصِلْ مَقْصُودَهُ؛ لِأَنَّ مَنْ طَلَبَ شَيْئًا وَلَمْ يَعْلَمْ كَيْفِيَّةَ طَلَبِهِ، وَلَمْ يَعْلَمْ مِمَّنْ يَطْلُبُ ذٰلِكَ الشَّيْءَ، وَلَمْ يُبَاشِرْ أَسْبَابَهُ، لَمْ يَصِلْ مُرَادَهُ البَتَّةَ. وَأَمَّا مَنْ يُطَالِعُهَا، وَوَقَفَ عَلَى عِظَمِ العِلْمِ وَأَهْلِهِ، وَعَرَفَ كَيْفِيَّةَ تَحْصِيلِهِ إِجْمَالًا فَوَصَلَ إِلَى مُرَادِهِ، وَنَالَ مَقْصُودَهُ بِعَوْنِ اللهِ تَعَالَى.

الحَمْدُ لِلّٰهِ عَلَى إِتْمَامِهِ وَإِعْطَاءِ نَعْمَائِهِ، وَالصَّلَاةُ عَلَى مُحَمَّدٍ، وَآلِهِ وَأَصْحَابِهِ أَجْمَعِينَ.

﴿ تَمَّتْ ﴾

فهرس الموضوعات